عاطف عبدالرحمن

التَّاسوع

رواية

obeikan.com

الكتـــــــاب: التاسوع
المـــؤلـــــف: عاطف عبدالرحمن
تصميم الغـــلاف: مروة فتحي
المراجعة اللغوية: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع
رقـــم الإيـــداع: 2015 / 26496
الترقيـم الدولـي: 978 - 977 - 779 - 059 - 8
الإخـراج الفنـــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 97 ش محمد فريد، وسط البلد، القاهرة
هاتف: 0223952354 - موبايل: 01142050403
الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com
البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

obeikan.com

عاطف عبدالرحمن

التَّاسوع

رواية

obeikan.com

obeikan.com

في عالمٍ تكثر فيه البشاعة
لا أملكُ إلا أن أُمسكَ بالقلمِ لأكتب.

obeikan.com

obeikan.com

إليـــــكِ

منحازة للمعنى وراء الحرف

كاشفة عن إنسانية كادت تذروها البغضاء

واهبة للنفس ما تبقَّى من صفاء

وللروح ما تبقَّى من ضياء

متطلعة في اتجاهِ الأُفق

حيثُ يولدُ الشعاعُ الأوَّل

تستشف روحُك نورَ الفجرِ القادم

وتبعثُ في الكونِ الأمل.

obeikan.com

obeikan.com

(١)

سحبٌ سوداء كثيفةٌ تتراكم لتشكل غلافًا يشمل الكون بغيمةٍ شديدة تزيدُ الليل عتمةً، فيما شمسُ الصباح تُجاهد لتشق لشعاعها طريقًا، فتتغلب السحبُ وتزداد كثافة لتزداد العتمة، رفع «آدم» عينيه إلى أعلى متأملا التداخل مابين السحب مُشكلا صورة صراعٍ وحشي عجز عقله عن استيعابه أو تفسيرِ معناه .

عاود «آدم» النظر أمامه، وتأمَّل شريط حياته عابرًا أمامه كصور متتابعة تُشكل في تداخلها وجوهًا عدة، منها وجوهٌ غيَّرت في حياته، ووجوه عبرت دون أن يعرف لماذا عبرت، لكنه كان خلال ذلك في بحثٍ محمومٍ عن ملامحه، حاول جاهدًا لكنه لم يتمكن.

ظل يطارد شبحًا يتشكَّل خلف الغيوم وبين ثناياها، لكن الوجه الشبحيّ ظل ينقلب من حالة إلى حالة مجهدًا «آدم» في محاولاته

لتحديد تلك الملامح التي ازدادت مراوغة وسط ظلمة أخذت تتكاثف أمام عينيه، لا يعرف لماذا؟ بينما السحب تتصارع فوقه لتلتهم كل منها الأخرى بداخلها مُشكِّلة حاجزًا يزداد كثافة أمام المحاولات المستميتة لشعاع الشمس الذي يحاول بكل ضراوة أن يخترقها.

تأمل «آدم» الملامح التي شكلها تداخل السُّحب في صراعها المستمر محاولا حصر تلك الملامح في وجوه معروفة له، فشكَّل كلَّ وجه من الوجوه التي ارتسمت أمامه بداية لخيط أخذ في التجمع أمام ناظريه، حاول جاهدًا أن يتلمَّس عن طريق الوجوه بدايات محددة، كادت الصورة أن تتكون أمامه، وجه يشكل صورة شبه معروفة، وآخر ربما شاركه مناسبة أو ذكرى، حروف الأسماء تكاد تبدو واضحة خلف الظلمة المحيطة، لكنه لا يتمكن من فكِّ شفرتها.

بذل «آدم» جهدًا كبيرًا كي يتشبث بالوجوه المحيطة به، وفي اللحظة نفسها التي ازدادت بها تشابكات السحب وصراعها المتوحش سرى ضَوء خاطف كاد أن يُعمي بصره، تبعته أصوات مزمجرة هادرة تكاد تعصف بكيانه أعقبها أضواء متتالية تظهر وتختفي سريعًا،

وانفجرت السماء عن شلال هادر أخذ يطيح بتلك الوجوه التي تشكلت أمامه.

حاول «آدم» أن يحمي نفسه فأحاط وجهه بذراعيه، لكنه لم يمكنه أن يمنع الأصوات الهادرة التي كانت تهز جسده من الخارج وترجُّه رجًا، وتعصف بكيانه مُشعرة إياه برجفة تجتاح روحه من الداخل، مزلزلة قناعات حاول أن يتشبَّث بها لكنها ما لبثت أن عصفت به وسط موجات متلاطمة ورياح عاصفة، بذل جهودًا مضنية لمحاولة الفكاك من أسرها لكنها كانت تعاود الالتفاف لتنقضَّ بكل قوتها على ما تبقَّى لديه من مقاومة.

أدرك أنه لن يستطيع المقاومة، وأن قواه أضعف من التحمل، ترك نفسه تتنازعه الأنواء أنَّى شاء لها أن تدفع به في اللحظة نفسها التي تجمعت الوجوه من خلف السحب متراقصة حوله، مبتسمة ابتسامة مصنوعة، لا يدري إن كانت شفقة أم سخرية.

obeikan.com

(٢)

أخذت حياة «آدم» الغرباوي تتهادى أمام عينيه، هو يحاول اقتناص الفرص التي تلوح أمامه، حياته مجموعة من التراكمات التي لم يُخطط لها، موت والده وهو صغير ترك في نفسه أثرًا بأنه وحيدٌ على هذه الأرض، وزواج والدته بآخر ، عَمَّق داخله هذا الشعور، وانشغالها بالزوج الجديد - كل هذه التطورات والتغيرات على نفسية طفل- كل هذا ترك «آدم» يعيش حياته في حالةٍ من السيولة التي لم يكن يتخيل أنها ستُفضي به إلى حيث انتهى.

في سنوات عمره الأولى كان يهرب من المنزل إلى المسجد، ربما كان يبحث عما ينتمي له، يجلس لفترات طويلة يقرأ ما يستطيع أن يتحصَّل عليه من كتب تضمها أرفف الكتب الموجودة إلى جوار المنبر، لم يجد بالكتب ما يجعله مُتيقنًا من أيِّ شيء، كانت الكتب

كلها تتحدث عن عذاب القبر وأشياء شبيهة بذلك، ومن الواضح أنها كتب لم يكن أصحابها يريدون الاحتفاظ بها داخل منازلهم فوهبوها لمكتبة المسجد على أمل أخذ ثواب بدلا من إعدامها، ومع مواعيد الصلاة كان حرصه يزداد على أداء الصلوات في مواعيدها.

يحرص على مصادقة الشيخ مسعود واتخاذه بديلا لوالده الراحل، يُسارع بتلبية طلباته من خارج المسجد، ويحرص على التقرب من مسعود عسى أن يكشف له غموض العالم حوله، ينفر من أقرانه لما يتميزون به من رعونة، وما يلاقونه من تدليل داخل منازلهم، يشعر جوار مسعود أنه كبير ومسئول، لكنه مع الوقت اكتشف أنَّ الشيخ مسعود ما هو إلا نموذج آخر لزوج أمه، يحرص على مصادقته ليتقرب عن طريقه إلى الأم.

تأكدت شكوكه في المرة التي عاد فيها إلى المنزل على غير موعد، فرأى مسعود وأمه في حالة لم يكن مُقررًا له أن يراها، كتم صرخته داخله، غادر المنزل عازما على الانتقام من مسعود، ومع إدراكه لعدم قدرته على فعل شيء، غادر «آدم» المسجد عازما على ألا يعود إليه مرة أخرى، لكن هذا لم يمنعه من ارتياد مساجد أخرى في

مناسبات متباعدة، كليالي الامتحانات وليلة ظهور النتيجة، وأحيانا في بعض أيام شهر رمضان.

كذلك عندما تركته «زهرة» ابنة الجيران ذات السبعة عشر ربيعًا، والتي كان يشعر معها بوجوده وبحياته، لكنها في إحدى الأمسيات أخبرته أنها لن تراه حيثُ سيزوجها أهلها ولن يكون بمقدورها بعد ذلك رؤيته، شعر عندها بأن روحه تُسحب منه، وسارع متجها إلى المسجد، وأخذ يتضرَّع ويبكي، ويدعو ويصلي، واستمر هكذا حتى موعد صلاة الفجر، بعد الفجر بقليل غادر المسجد وهو لا يدرك إلى أين يتجه، سار في الشوارع يقطعها طولا وعرضًا.

عندما عاد إلى المنزل عرف أنَّ «زهرة» قد غادرت الحي والبلدة كلها وتزوجت، وأدرك أنَّ توسلاته ودموعه قد ذهبت أدراج الرياح، تملكه الحزن الذي صار لصيقا به، ووجد نفسه بعد فترة ليست بعيدة يخطو ناحية المسجد ليلة ظهور نتيجة الثانوية العامة، درجات قليلة شكلت حائلا بين «آدم» والكلية التي يريد فتوجب عليه دراسة الآثار التي لم يكن يعرف أي شيء عنها، كانت هذه فرصته للابتعاد عن المنزل .

اجتهدتْ والدته في إرسال النقود إليه، اجتهد «آدم» في الدراسة والبحث وأنهى سنوات دراسته متفوقًا، مع ورود خبر وفاة والدته أدرك أنه أصبح وحيدًا في هذا العالم، تبع ذلك تعيينه في إحدى القرى النائية بصعيد مصر مسئولا عن أحد المقابر المهمة التي تدور حول منها حفريات كثيرة.

كان الوقت يمرُّ بسرعة رهيبة يتكسب خلالها، «آدم»، صداقات عديدة وخبرات متنوعة ساعدته إضافة إلى نهمه للمعرفة في اكتشاف العديد من المقابر الجديدة التي تحوي الكثير من الكنوز الأثرية، وأصبح «آدم الغرباوي» في سنوات قليلة أحد الخبراء الذين يشار إليهم بالعلم والخبرة والدقة، كان يقضي لياليه، داخل المقابر المكتشفة محاولا تحديد كُنْه الناس الذين عاشوا هنا وصنعوا هذه الإعجازات التي مازال العقل يحار في تفسير بعض ظواهرها.

اتَّفق «آدم» مع خفير المقبرة المكتشفة حديثًا على أن يدخلها بصحبته ليلا حتى تتاح له فرصة تأمل تلك الكنوز التي عثر عليها مؤخرًا، منفردًا قبل أن تأتي اللجنة الحكومية المكلفة صباح اليوم التالي لاستلام المقبرة بمحتوياتها، كان «آدم» يطمح في أن تَكشف

المقبرة له بعض أسرارها، لا يدرك السر الذي يجذبه ناحية هذه المقبرة تحديدًا بيد أنه أصرَّ على استكمال المغامرة إلى نهايتها نصحه الخفير مرارًا محاولا إثناءه عن تلك المغامرة لكنه أمام إصرار «آدم» الغرباوي لم يجد مفرًا من الموافقة على طلبه.

انتظر«آدم» الخفير « قناوي» على مقربة من المقبرة بينما سكون الليل يحيط به من كل جانب لا يقطعه سوى صوت عواء ذئب يأتي إليه من بعيد على فترات كانت ليلة قد غاب قمرها وازدادت برودتها وزأرت رياحها مثيرة رمال وأتربة في كل الاتجاهات قبع «آدم الغرباوي» في مكمنه منتظرًا إشارة وصول الخفير «قناوي» التي لم تتأخر كثيرًا إذ أنه لمح ضوء «الكلُّوب» الذي يحمله الخفير وهو يتهادى وسط الظلام من بعيد.

لحظات وكان «قناوي» الخفير يفتح باب المقبرة ويدلف إليها تسبقه خطوات «آدم» المتسارعة في طريقه إلى الداخل، وقف «آدم» مشدوها وهو يرى كمية ضخمة من التماثيل والمنحوتات والحُليِّ الذهبية والكتابات المنقوشة على الجدران بألوانها البديعة التي تكاد تنطق من فرط روعتها، أخذ «آدم» يتأمل ما يراه ويُقلِّب في المنحوتات الصغيرة متأملا إيَّاها بشغف الروعة والدقة التي

صنعت بها، والجمال الذي سكب روحه في تلك المنحوتات.

كان الخفير يرتجف من إحساس شديد بالبرودة لازمه مُذ وطأت أقدامه المقبرة فاصطكت أسنانه محدثة صوتا لفت إليه انتباه «آدم» الذي حاول أن يجعل «قناوي» يشعر بالأمان لكن الخفير طلب المغادرة فاستمهله «آدم» وقتًا قليلا حتى يُكمل المشاهدة، كان «آدم» قد وصل إلى أحد جوانب المقبرة وفي اللحظة التي وضع يده فيها ليتأمل أحدى الرسومات انفتح أمامه في الجدار بابٌ يؤدي إلى سرداب نازل إلى الأرض.

صرخ الخفير «قناوي» بفزع ورعب وحاول «آدم» أن يقنعه بالدخول معه ليرى ما بداخل السرداب لكن الخفير فزع ورفض الدخول معه، ترك «آدم» الخفير بعد عدة محاولات غير مجدية ونزل بمفرده السلم المؤدي إلى الأسفل، هاله الضوء المنبعث من تحت الأرض فترك «الكلوب» معلقا بيد الخفير الذي كان متشبثا بمكانه رافضا النزول مع «آدم» أخذ «آدم الغرباوي» طريقه إلى أسفل وهو منبهر بما يراه.

كان هناك الكثير من الناس يرتدون ثيابا غير ما يرتدي هو،

obeikan.com

والجميع في حالة «بهجة» تشعُّ على الوجوه، تأمَّل «آدم» الملابس فـأدرك بالنظرة الأولـى أنها ملابس فرعونية، حـاول «آدم» أن يستوعب ما يحدث حوله، لكنه وجد نفسه داخل طقس ديني يأخذ بمشاعر الجميع، لم يشأ المقاطعة لكنه استمر يتقدم محاولا الوصول إلى قلب الاحتفال الديني المقدس.

اقترب قدر استطاعته، فوجد كثيرًا من الآلهة التي كان يُطالع صورها مرسومة في أماكن عدة بحكم طبيعة عمله، حاول «آدم» أن يستجمع ذاكرته ويحصر معلوماته بسرعة، تعرَّف على بعض الوجوه المألوفة لدية من الصور المرسومة على جدران المعابد والمقابر التي دخلها سلفا، لكنه لم يستطيع التعرف على تلك الوجوه التي تحتل الصدارة، وعندما فشل اقترب من أحد الوجوه التي تعرَّف عليها من الريشة التي تُزين رأسها، وجدها غارقة في هذا الجو الاحتفالي الذي يحيط به، تُغلفه موسيقى مجهولة المصدر لكنها تملأ المكان كله، وثمة ترنيمات تتوالى بوجدٍ يتشارك فيها جميع الموجودين.

أدرك «آدم» أنَّ عليه الانتظار حتى ينتهي هذا الطقس الاحتفالي؛ لكنه في الوقت نفسه وضع صاحبة الريشة على رأسها تحت بصره

حتى لا تغيب عن عينيه مُقررًا أن يحاول منها فهم ما يحدث حوله، ومع نهاية الاحتفال اقترب من ذات الريشة مستفهمًا منها لكنه فوجئ بها هي من تتحدث إليه :

-نعم أنا «ماعت» إلهة الضمير، تلك التي تعرَّفت على صورتها على جدران المقابر في الخارج وهناك على القمة يجلس «آتوم» ذلك الذي استقرَّ على قمة جبل قاف منفردًا وحيدًا بعد أن خرجت الأرض من المحيط الأبدي بعد أن كان العدم، و«آتوم» هو الذي أنجب من نفسه عندما عطس فخرج منه «شو» و«تفنوت» (الهواء والماء)؛ هذان اللذان يجلسان جواره إلى اليسار واليمين، ومن زواجهما أنجبا «جب» و«نوت» (السماء والأرض) هذان اللذان يجلسان أسفل قدمي «آتوم» وقد ظلا ملتصقين زمنا طويلا حتى أنجبا (إيزيس وأوزوريس ونفتيس وست)؛ هؤلاء الموجودون حول «آتوم» من الخلف ثم بعد ذلك تولى «شو» فصل كل من «جب»، و«نوت»؛ فكانت الأرض وكانت السماء، وبذلك تشكل التَّاسُوع المقدس في أول صوره.

كان «آدم» يتابع حديث «ماعت» ذات الريشة، وهو يتأمَّل الآلهة الذين تشير إليهم، ودارت برأسه آلاف الأسئلة، ولكنه قبل أن ينطق

كانت «ماعت» تتولى الإجابة:

-في مرحلة لاحقة انضمَّ «حورس» إلى هذا التَّاسُوع المقدس، وكذلك انضممت أنا، لكن هذا هو التَّاسُوع المُقدس في تشكيلته الأولى؛ حيث يوصي «آتوم» بالوصية ال«خالد»ة الأولى، تلك التي تحفظ السرَّ المقدس وترتب نظام الحكم الأبدي حيث يكون :

(العدل هو المعيار الأول وتكون النفسُ هي الأَوْلى بالرعاية)

وقد توجب عليك باعتبارك أوَّل من يصل إلى هنا أن تحفظ سرَّ هذا التَّاسُوع بحيث لا يصل إليه نابشو القبور.

حار «آدم» في أمره ولم يدرِ كيف يتصرف أو ماذا يقول خاصة وقد وضعت «ماعت» في يده لفافة مطوية ضاغطة على يده بنظرة كلها حنو وتحذير، في ذات الوقت حاول «آدم» أن يتأمل ما بيده بيد أن موسيقى عالية ارتفعت في اللحظة نفسها، وأخذت الترانيم ترتل والجميع يتحركون في اتجاهات مختلفة بينما امتلأ الجو برائحة بخور طيب الرائحة يتصاعد من مكان غير معلوم لم يسبق لـ «آدم» أن تشمَّم مثله.

انشغل «آدم» برائحة البخور والترانيم والموسيقى، وأخذت عيناه

تجوبان المكان بحثا عمن كانت تحدثه منذ قليل، لكنه لم يلحظها وسط الجموع الحاشدة وأخذت المُوسيقى تتصاعد في عنف حتى تحولت إلى إيقاع رهيب يكاد يصم الآذان في نفس الوقت الذي ازدادت فيه كثافة البخور الذي يغلف الأجواء حتى انعدمت الرؤية تماما، ولم يكن بمقدور «آدم» تمييز أيِّ شيء حوله، وساد فيه ظلام كثيف حاول «آدم» أن يغلق أذنيه عن الإيقاعات المتتالية المرتفعة لكنه فشل مع تتابع الدقات.

فتح «آدم» عينيه وقفز جالسًا في فراشه ليكتشف أن الطَّرْق على باب الاستراحة التي يسكن فيها، أسرع «آدم» وفتح الباب فوجد الخفير «قناوي» يخبره بأن اللجنة الحكومية المُكلفة بجرد محتويات المقبرة المكتشفة حديثا قد وصلت، وأن عليه أن يُسرع حتى يمكن إنهاء الإجراءات.

ارتدى «آدم» ملابسه سريعًا، وعدَّل هندامه وغسل وجهه ووضع سيجارة في فمه وأشعلها على عجلٍ حاول أن يستفهم من الخفير عن الليلة الماضية وما حدث فيها ولماذا تركه «قناوي»؟ بيد أن الخفير أخبره بأنه منذ تركه عصر اليوم الماضي لم يره ثانية، حار «آدم» في تفسير ما حدث له بالأمس، لكن خطواته كانت تتسارع في

محاولة للحاق بخطوات الخفير التي كانت أشبه بالركض.

أنهت اللجنة إجراءاتها سريعًا وتم غلق المقبرة مرة أخرى بعد وضع الأختام والتوقيع في الدفاتر، وفهم «آدم» أن مهمته انتهت في هذا الموقع، وأنه بحلول عصر هذا اليوم سيكون عليه ركوب القطار متوجها لموقع عمله الجديد، حزم الخفير أمتعة «آدم» سريعًا، وأثناء انتظارهما للقطار حاول «آدم» أن يفهم من الخفير تفاصيل الليلة الفائتة، لكن الخفير لم تكن لديه أية تفاصيل.

obeikan.com

obeikan.com

(٣)

استراح «آدم» لفكرة أن ما رآه كان حلمًا، لكنه ابتسم، وهو يتذكر وعده لـ«ماعت» أن يحافظ على سر التَّاسُوع المقدس، وفي القطار لم يستطع «آدم» أن يُجيب على السؤال الذي يدور بداخل رأسه كيف يحافظ على سر التَّاسُوع المقدس؟ وما هو هذا السر؟؟ آلاف من الأسئلة كانت تدور داخل رأس «آدم» في الوقت نفسه، الذي تدور فيه عجلات القطار بسرعة قاطعة المسافة إلى مكان مجهول بالنسبة لـ «آدم»؛ ولكنه مضطر للتعايش مع ناسه حتى ينتهي من المأمورية الجديدة المكلف بها.

أراح «آدم» رأسه إلى الخلف محاولا طرح الأسئلة بعيدًا عن رأسه، أغمض عينيه فشعر ببعض الراحة، لم تكن به رغبة للنوم، لكنه استشعر راحة وهو يفرد قدميه أمامه، فتح عينيه للحظة فوجد

«ماعت» ذات الريشة جالسة أعلى الباب المواجه له وهي ترقبه في نومه بابتسامة رقيقة بادلها الابتسام واعتدل في جلسته لكن ذات الريشة اختفت في اللحظة نفسها التي اعتدل فيها.

تلفت حوله باحثًا عنها، لكنه وجد كل من في عربة القطار مشغولا بشأنه، نظر من شباك القطار إلى الخارج كانت المساحات الخضراء بالغة الروعة تطوى أمام سرعة القطار، وتحت الرياح المسرعة تلك التي تنحني أمامها الأ»عـوَّاد» الخضراء الكثيفة بالحقول لتُفسح الأ»عوَّاد» الخضراء الكثيفة مكانًا للرياح كي تمر منه ثم تعاود الأ»عوَّاد» الخضراء الكثيفة رفْعَ هاماتها مرة أخرى، شرد «آدم» للحظة ولم ينتبه لتوقف القطار.

سمع بعض المتحدثين في القطار فأدرك أنها محطته، أسرع بجمع متعلقاته وغادر القطار مسرعًا، وقف يتأمل البلدة التي تمَّ إيفاده إليها، في الوقت نفسه الذي كان أحد الرجال يقترب منه مسرعًا، فهم «آدم» أن هذا هو خفير الاستراحة الجديدة وعـرف»آدم» أن اسمه «هنداوي»، حمل الخفير «هنداوي» حقيبة «آدم الغرباوي» مرحبًا ومُهللا في اللحظة نفسها، التي كان القطار يغادر فيها المحطة كانت خطوات «آدم» تتابع خطوات الخفير في الطريق إلى

الاستراحة الجديدة.

لم تختلف ليلة «آدم الغرباوي» الأولى في تلك الاستراحة عن غيرها في استراحات عدة شغلها بحكم عمله، فبعد أن رتَّب أشياءه بمساعدة «هنداوي»، وتناول وجبة خفيفة أتاه بها الخفير ودخَّن عددًا لا بأس به من السجائر، انشغل «آدم» بترتيب بعض من أشيائه الخاصة، في الوقت نفسه الذي كانت فيه « «بهجة» « زوجة الخفير «هنداوي» تقوم بمساعدة زوجها في ترتيب المكان بعد أن تناول «آدم» الشاي والطعام.

لفت نظر «آدم» شباب «بهجة» الواضح عن زوجها «هنداوي»، كانت «بهجة» تحمل استدارة القمر ليلة اكتماله في جميع تفاصيلها، وكان جمالها باديًا لا تخطئه عين، على العكس من «هنداوي» الذي كانت عظام منكبيه تبرز خارجة بصورة ملفتة من فتحة الجلباب الذي يرتديه، أراح «آدم» جلسته وهو يتأمل حركة «بهجة» داخل الاستراحة، ولفت نظره الابتسامة المرسومة على وجهها لا تفارقها رغم حالة الفقر البادية على زوجها.

أخذ «هنداوي» يساعد «بهجة» بهمةٍ ونشاط في الوقت نفسه الذي

كان «آدم» يلاحظ فيه «بهجة» ترمقه بنظرة لها دلالات متعددة، حار «آدم» في تفسيرها، كان كلما التفت ناحيتها وجدها تتفرسه، لكنها ما إن تلتقي العيون حتى تبادر بالانشغال والتغافل عنه بالعمل، شرد «آدم» خلف تلك النظرات، وما يمكن أن تحمله من رسائل ومع نهاية العمل في الاستراحة أطفأ «هنداوي» الضوء، وانسحب مع زوجته «بهجة» تاركا «آدم» شاردًا مع خيالاته تمهيدا للنوم استعدادا ليوم عمل جديد.

مرت لحظات قليلة على «آدم» وهو في هذه الحالة، ومع آخر نفس من السيجارة كان «آدم» يراقب طيف الدخان المتسلل خارجًا على شعاع ضوء القمر الداخل إلى الاستراحة، كانت ليلة شتوية باردة أضاءها القمر القادم من خلف الجبل، فتدثر «آدم» بغطائه محاولا البحث عن بعض دفء في اللحظة نفسها التي كانت فيها «بهجة» تفتح باب الاستراحة وتدخل إلى «آدم» الذي تلقاها بفرحة ولهفة.

هب «آدم» من مرقده فرحا واحتوى «بهجة» بين ذراعيه، لم يكن ثمة مجال لحديث فقط لغة العيون والجسد، ليلة بطولها و«بهجة» باستدارة وجه القمر والشفاه والأنف والعيون والأرداف، والنعومة التي أدركها وتحسسها «آدم»، صدرت «بهجة» لـ «آدم» مشاعر

متأججة ورغبة متقدة أشعلتها وأطفأتها مرات عدة، و«آدم» يحاول أن ينهل من نبع ال«بهجة» كل ما استطاع لكنه في لحظةٍ وجدَ ذات الريشة تنظر إليه.

ارتبك «آدم» وحاول أن يستر نفسه ويبتعد عن «بهجة» التي لم يجدها حين تلفت حوله باحثًا عنها، نظر إلى ذات الريشة وهو يحاول أن يبرر ما كان؛ لكنها رمقته بنظرة غاضبة قائلة :

-لقد ائتمنتك على سر التَّاسُوع المقدس، فلا تجعله يغيب عنك لحظة.

أدرك «آدم» أن ذات الريشة ليست غاضبة لفعله، فانتهز الفرصة وحاول التقرب إليها:

-سأفعل.

-عندها سيكون لك مني ما تشاء.

-أي شيء أشاء؟

-لمرة واحدة سأهبك ما تشاء.

جمع «آدم» تفكيره وحاول أن يُحدد ما يطلب لكنه قبل أن يفعل

التفت حوله فلم يجد ذات الريشة، وسمع الدقات المصاحبة للطقس الديني الذي حضره مرة من قبل انتفض فوجد نفسه في الاستراحة و«هنداوي» يطرق الباب.

أسرع بفتح الباب فوجد «هنداوي»، ومعه «بهجة» تحمل صينية عليها الإفطار، نظر «آدم» إلى «بهجة» فوجد على وجهها ذات الابتسامة التي ارتسمت على وجهها في الليل قبل أن تغادره، ارتبك «آدم» وتحرك في اتجاه الحمام تاركا «هنداوي» و«بهجة» يرتبان الاستراحة، وكان «هنداوي» يستعد ليصحب «آدم» في جولته لأول يوم عمل بالموقع الجديد.

استمرَّ الحفر بأيدي العمال في مواقع عدة حددها لهم «آدم»، أحضرت «بهجة» كوبا من الشاي ووضعته أمام «آدم»، ومنحته ابتسامة هادئة، وتركته مبتعدة، تأمل «آدم» خطو «بهجة» التي تزوره ليلا لتوقظه من أحلامه وتسكب في روحه معانيا ومشاعر لم يكن «آدم» يتخيل وجودها، مرات كثيرة كان يرسل «هنداوي» ليحضر طلبات ومستلزمات، وهو يعرف أنها ستأخذ منه وقتا طويلا ليتيح لنفسه وقتا أطول مع «بهجة»، لم يكن «هنداوي» يخالفه أبدا حتى تشكك «آدم» في أن «هنداوي» ربما يعرف ويغض الطرف.

شكلت «بهجة» لـ «آدم» لُغزًا مُحيرًا لم يستطع فك شفرته، تلك المرأة البسيطة التي سيطرت على حواسه ومشاعره بقدرة أنثوية، وفتحت أمامه آفاقا لـ«بهجة»، لم يكن يتخيلها في أحلامه، كان يُخصص لها من الوقت كل ما يستطيع بإبعاد «هنداوي» إلى القرى المحيطة لجلب أغراض ومنافع للاستراحة أو للحفر و«هنداوي» ينفذ طواعية دون تبرم بينما «بهجة» من ناحيتها لم تكن تبخل على «آدم» بجسدها ومشاعرها الفياضة.

كثيرا ما تساءل «آدم» عن طبيعة العلاقة التي تربط «هنداوي» ببعض مطاريد الجبل الذين كانوا يظهرون بين الفينة والأخرى، بيد أن وجودهم لم يكن يقلق «آدم» أو يعكر سير أعمال الحفر، ما كان يحير «آدم» هو تلك القدرة التي يمتلكها «هنداوي»، والتي تمكنه من فرض سيطرته على هؤلاء المطاريد فلا تتجاوز مطالبهم سوي بعض الطلبات المعيشية من شاي وسكر وخلافه، ورغم قوة بنيانهم الجسدي الظاهرة وتسلحهم الواضح في مقابل الضعف الجسماني والهزال الواضح على «هنداوي» إلا أنه كان قادرًا على أن يكبح أية نزعة شريرة تبدو من أحدهم بمجرد نظرة من عينيه الأمر الذي حيَّر «آدم» كثيرا وجعله يحاول أن يتفهم ذلك ذات ليلة

بينما هو متمدد و«بهجة» مستلقية عارية إلى جواره بعد أن رَوتْ له عطشه، لكن «آدم» لم يجد لديها تفسيرًا يمكن أن يقنعه ويزيل أسباب التوجس من نفسه.

حاول أن يتساءل مرة أخرى لكن «بهجة» اعتدلت إلى جواره وأغرقته في فعل أنساه «هنداوي» والمطارید وأعمال الحفر، وذهبت به إلى واقع مغاير تمامًا نشوة وبحر زاخر بالأمواج المتلاطمة المتلاحقة الباحثة عن شاطئ تقر عليه.

لكن «آدم» لم يكن يبغي الوصول إلى الشاطئ قدر رغبته في الوصول إلى أعماق الأعماق في هذه اللجة التي ولجها واستشعر معها الرغبة التي تملكت عليه كيانه ومشاعره، وهو يجول في هذه المتعة التي وهبتها له، «بهجة» بكل كنوزها المخفية والتي نثرتها أمامه وطوع رغباته في لحظة كانت هي الأشد احتياجا وشوقا ولهفة ورغبة فشرع «آدم» يأكل وينهل علَّه يروي الظمأ الذي تملكه، وكانت «بهجة» له كالماء المالح كلما حاول أن يروي عطشه منه ازداد شعوره بالعطش وحاجته للارتواء أكثر حتى اعترى الجسد منهما الوهن فاستلقيا متجاورين عاريين إلى مشرق اليوم التالي.

انتهت أعمال الحفر في الموقع الذي حدده «آدم» ووقف العمال متجاورين يتابعون «آدم»، وهو يشق طريقه إلى المكان الذي حدده كمدخل للمقبرة التي هو على وشك أن يكتشفها، حبس الجميع أنفاسهم في اللحظة التي كان «آدم» يزيح فيها التراب عن البوابة الرئيسية للمقبرة، وانفتح الباب فهالهم جميعًا الروعة التي تبدت في لحظة من مجموعة الرسوم التي تحيط بباب المقبرة من الخارج وطزاجة الألوان التي تبدو وكأن من رسمها قد رفع فرشاته عنها حالا.

دخل «آدم» إلى المقبرة وأجرى معاينة سريعة لما تحتويه، وأسرع خارجا بعد أن عيَّن حراسة على المقبرة وصرف عمال الحفر مع المقاول المسئول عنهم واتَّجه مسرعا يتبعه «هنداوي» إلى الاستراحة ليكتب تقريرا إلى الإدارة لسرعة إيفاد لجنة لتسلم محتويات المقبرة.

obeikan.com

(٤)

عند وصوله إلى الاستراحة فوجئ «آدم» بوجود عدد من المطاريد في انتظاره، وهم يحيطون بالاستراحة، شاهرين أسلحتهم استعدادًا لأي مواجهة محتملة حاول «آدم» التفاهم معهم تارة و«هنداوي» تارة أخرى، لكن المطاريد كانت مطالبهم محددة ولا مجال للتراجع عنها يريدون دخول المقبرة للحصول على الزئبق الأحمر.

قرر «آدم» أن يأخذ وقته كاملا للتفكير وأرجأ إرسال التقرير لحين انتهاء التفاوض مع المطاريد حول دخول المقبرة قبل وصول اللجنة الحكومية كما يريد المطاريد كان «آدم» قد سمع مرات متعددة عن الزئبق الأحمر لكنه لم يعرف الأهمية التي يوليها المطاريد لهذه المادة.

بعد أن تناول طعامه أرسل «هنداوي» إلى إحدى القرى المجاورة ليحضر له بعض الأغراض، وكانت هذه فرصته التي يتحينها للقاء «بهجة»، ولم تُخيِّب «بهجة» ظنه فبمجرد خروج «هنداوي» فتحت «بهجة» باب الاستراحة داخلة، لم يكن «آدم» في حالة تسمح له بالحديث سوى في ما يشغله.

حاولت «بهجة» أن تأخذه بعيدا عما يُقلقه لكنه كان شارد الفكر، سألته عن الذي يشغله، وحين عرفت أسباب حيرته قررت أن تساعده، أخبرته بأنها تعرف شخصًا يقال له الشيخ «عوَّاد»وهو من سُكان الجبل، ويستطيع أن يخبره بكل شيء عن الزئبق الأحمر واتَّفق «آدم» مع «بهجة» على التوجه للشيخ «عوَّاد»؛ عله يكشف له غموض ما يجهله.

في سكون الليل كان «آدم» بصحبة «بهجة» يقطعان الطريق الواصل إلى منزل، الشيخ «عوَّاد»يلفهما السكون من كافة الأنحاء بينما يتهادى إلى أسماعهما على البعد صوت عواء ذئب وكأنه يؤنس وحدته في هذا السكون والبرد، كان «آدم» قد كلَّف «هنداوي» بالمبيت بجوار المقبرة وأخذ «آدم» يحثُّ الخُطى في طريق الصعود إلى الجبل بينما كانت «بهجة» تمسك به في حنو بالغ وتستدفئ

بقربه منها.

ازدادت برودة الجو مما دفع «بهجة» لأن تحتمي أكثر بـ «آدم» تلتمس منه بعض الدفء استشعر «آدم» حرارة منبعثة من ثدييها اللذين يتوسطهما ذراعه، وهي تستدفئ به، وشعر«آدم» بأنفاسها اللاهثة الحارة تسقط على جانب وجهه الأيمن التفتَ «آدم» ناحية «بهجة»، فأشارتْ إلى ضوء ينبعث من بعيد فهم منه «آدم» أن هذا هو مقصدهم حيث منزل الشيخ «»عوَّاد»».

كان منزل الشيخ «عوَّاد»بسيطًا ومتجردًا من الأثاث، ولا يوجد به سوى بعض السجاجيد المغزولة من صوف الأغنام وعلى الحوائط بعضا من هذا السجاد، أفرغ الشيخ «عوَّاد»براد الشاي الذي صنعه على « الراكية» الموجودة إلى جواره وناول «آدم» و«بهجة» أكواب الشاي، أخذت «بهجة» تُدفئ يديها بالكوب الساخن وهي تراقب نظرات «آدم» إلى الشيخ «عوَّاد» الذي كان يشرب الشاي بتلذذ وبطء، أنهى «عوَّاد»شرب الشاي ونظر إلى «آدم» و«بهجة» نظرةً متأملة وأخذ يتحدث بينما هما ينصتان.

-قبل أن أقول لك أي شيء عليك أن تعلم أن ما سأقوله لك

يتوقف عليك.

كان من الواضح أن «آدم» لم يفهم كلام الشيخ «عـوَّاد»؛ ولهذا استطرد «»عوَّاد»»:

-إيمانُك بما سأقوله هو الذي سيوجهك، لو كنت تؤمن بما سأقول سيجد مردودًا في نفسك، وإذا لم تؤمن به فلن ينفعك ما أقول.

كانت «بهجة» هي التي تريد أن تعرف كل شيء، استحثت «عوَّاد» الذي قال :

-الزئبق الأحمر الروحاني يستخدمه البعض في تحضير الجن، وهو يختلف طبعا عن الزئبق المُشعِّ العادي لقدرته غير العادية التي يؤمن بها مَن يبحثون عنه، وقد يبذل أحدهم في سبيل الحصول عليه ماله أو حياته وربما حياة أحبِّ الناس إليه؛ لأنه يعُدُّ بمثابة غذاء للجن، ويمكن للجرام الواحد منه أن يطيل عمر الجن بمقدار ألف عام، يوقن البعض منهم أن هذا الزئبق الأحمر الروحاني يخصم من حياة الجن سنوات قد عاشها فيكون عليه أن يعيش إلى القدر الذي قُدِّر له، وهذا مخالف لشريعة الخالق لكن من

يبحث عن تسخير قدرات الجن لا يعنيه ذلك ويقرر المغامرة، وهذا الزئبق يتكوَّن في الأرض عقب الزلازل أو البراكين على بعد طبقات سحيقة داخل سطح الأرض، ولا يمكن للجن تناوله إلا إذا أذن له الإنسان حتى يتحمَّل هو الوزر نيابة عن الجنِّ الذي يتناوله، ويمكن للجن أن ينفذ في سبيل الحصول عليه أي طلب يطلب منه، ولهذا يُعد الزئبق الأحمر الروحاني وسيلة من وسائل تحقيق الثراء عن طريق ما يمكن أن يفعله أو يحققه الجن مقابل تناول هذه المادة.

كانت «بهجة» تتابع حديث الشيخ «عـوَّاد» في حالة من الدهشة والفزع وقبل أن تستفسر هي أو «آدم» كان الشيخ «عـوَّاد» يواصل حديثه قائلا :

-اكتشف المصريون القدماء هذه المادة، وهي تُوضع في المقابر ومع المومياوات لتحفظها من عبث نابشي القبور عبر الأزمـان منها ما يُوضع على هيئة حجاب تحت الإبط، ومنها ما يُوضع داخل قارورة إلى يمين الرأس، لكن الكثير من نابشي القبور توصَّلوا إليها وأمكن لهم عن طريقها تسخير الجنِّ لتحقيق بعض رغباتهم.

كان «آدم» يسمع ما يقوله الشيخ «عوَّاد» وهناك آلاف من الأسئلة تدور داخل رأسه، في الوقت نفسه الذي كانت «بهجة» تلمع عيناها وتتَّقد مع فكرة الحصول على هذا الزئبق الذي يمكن أن يوفر لها ثراءً ما كانت تحلم به، وذهبت أفكارها إلى حياة جديدة تعيشها بصحبة «آدم» في بلاد غير تلك التي تعرفها، تتمتع فيها بحبه وتمتعه بحبها، لكنها قبل أن تذهب بها الأفكار بعيدًا أخرجها صوت الشيخ «عوَّاد»:

-الجن حتى يأكل الزئبق يجب أن يُصرح له الإنسان، لا يستطيع تحمُّل هذا الوِزر فيحمِّله للإنسان الذي يعميه طمعه؛ فيتحمل الوزر نيابة عن الجن، ولقد جرى العرف على أن يجري مزاد بين الجن يجريه أحد المشايخ الذين لهم القدرة على استحضار الجن، ويعرض الشيخ عليهم مطالب صاحب الزئبق، ومن يرسو عليه المزاد ويقوم بتنفيذ ما طُلب منه، يصرح له بأكل الزئبق الأحمر الذي يكون موجودًا أمام الجن ولكنه محاط بلفظ الجلالة حتى لا يمكن لأي منهم الاقتراب منه فإذا نفذ الجن ما طلب منه أزيل لفظ الجلالة الذي يحيط بالزئبق الأحمر وتم السماح للجن بتناوله، على أن يقسم ما أحضره الجن من أموال على ثلاثة مقادير

متساوية، يحصل صاحب المنزل الذي تمَّت به العملية على الثلث، ويحصل صاحب الزئبق الأحمر على الثلث والثلث الأخير يحصل عليه كل من حضر المزاد كل منهم له نصيب.

شعرت «بهجة» بحرارة جسدها ترتفع بدرجة أشعرتها برجفة هزت جسدها مما دفعها للالتصاق ب «آدم»، وقبل أن تشرد مع أفكارها كان الشيخ «عوَّاد» يعيد ملء برَّاد الشاي ويضعه مرة أخرى على «الراكية».

في طريق النزول من الجبل كان «آدم» صامتًا، وكانت «بهجة» شاردة، خيَّم الصمت على الجبل حتى ضوء القمر بدا خافتًا بفعل سحابة غطت وجه القمر في تلك اللحظة كان الصمت الموحش ينهش «آدم» في كل اتجاه لكن «بهجة» كانت تسير خلف أفكارها التي كانت تُهيِّئ لها حياة هادئة هانئة بعيدًا عن الحياة في هذه القرية النائية.

كانت مشاعر «بهجة» تسير خلف حبها لـ «آدم» ذلك الذي أشعرها بمشاعر لم تكن لتشعر بها قبل أن تعرفه، كانت قبله مجرد فتاة يتيمة نشأتْ في هذه القرية الواقعة خلف الجبل، واضطرتها

الظروف للزواج من «هنداوي» الذي لم تكن له أي مشاعر لكنها استمرت في حياتها لا أمل أمامها إلا حين ظهر «آدم» في حياتها.

شعرت في البداية نحوه بغريزة جنسية جائعة لا يشبعها «هنداوي»، لكنها بعد أن أسلمت نفسها لـ «آدم» شعرت مشاعر إنسانية لم تكن تعرفها قبل ذلك استشعرت حنانه وحبه ورقته في التعامل معها وحرصه على مشاعرها، أشعرها «آدم» بإنسانيتها فتملك قلبها وعقلها، كانت على استعداد لفعل أي شيء مقابل أن تحتفظ بلحظات لقائها به، وكان ما قاله الشيخ «عوَّاد» عن الزئبق الأحمر وما يمكن أن تحققه من ثراء جراء الحصول عليه يُشكل بالنسبة لها حياة وأملا يمكنها من الحياة جوار «آدم» وبين أحضانه ليمكن لها أن تعوض ما فاتها من حياة

أخذت الأفكار تتسارع وتتصارع داخل عقل «بهجة» لدرجة أنستها الطريق حتى وصلت مع «آدم» إلى الاستراحة، كان «آدم» يسير خلف أفكار متصارعة داخل رأسه، في الوقت الذي كانت «بهجة» فيه شاردة خلف أفكارها، ومع بدايات فجر اليوم التالي كانت «بهجة» قد استقرَّ قرارها على السير خلف أفكارها ودفع «آدم» للموافقة عليها بأي طريقه.

استراحت «بهجة» لهذه الفكرة وتوسدت ذراعي «آدم» مستلقية على ظهرها وراحت «بهجة» في سُبات عميق في ذات الوقت الذي كان «آدم» لم يحسم قراره حتى هذه اللحظة نظر «آدم» إلى وجه «بهجة» فوجد ابتسامة ترتسم خفيفة على شفتيها ضمها «آدم» بين ذراعيه وقبل شفتيها .

اعتدل في جلسته فوجد ذات الريشة واقفة أمامه تنظر إليه وعلى وجهها ابتسامة لم يتمكن «آدم» من تحديد نوعيتها، هل هي ابتسامة ساخرة أم أنها ابتسامة حانية؟ وقبل أن يفهم «آدم» كانت ذات الريشة قد اختفت بالطريقة نفسها التي ظهرت بها، اعتدل «آدم» في رقدته وضم «بهجة» إلى صدره فشعر برضا «بهجة» عن ضمته لها واستكانت «بهجة» بين أحضانه واستغرقا في نوم عميق.

انتهت المهلة التي طلبها «آدم»، وعاود المطاريد محاصرته كان يتهرب منهم بحجج عدة، لكنه أمام إصرار كبيرهم اضطرَّ إلى مواجهتهم كان «هنداوي» قد فشل في التوصل إلى رقم معين معهم واتَّضح لـ «آدم» أن التوقير والاحترام الذي كان يبديه المطاريد لـ«هنداوي» لم يكن إلا حيلة منهم حتى يمكن لهم تحقيق هدفهم ومع وضوح الصورة أمام «آدم»، لم يعد أمام «آدم» سوى أن ينتقل

إلى طلب مبلغ محدد من المال حتى يوافقهم على ما يريدون وبدأت ضغوط المطاريد تحاصر «آدم» و«هنداوي».

عرض عليهم «آدم» مبلغًا يريده ليوافق على دخولهم المقبرة للحصول على الزئبق الأحمر، اعترض المطاريد على الرقم ودارت المفاوضات، وكان من الواضح أن الفارق بين مئات الآلاف التي يعرضها المطاريد، وعشرات الملايين التي يطمح إليها «آدم»، ستشكل أساسًا لفشل المفاوضات، وأخذ التفاوض يزداد تعقيدًا، في الوقت الذي وسَّع فيه «آدم» دائرة الحراسة حول المقبرة مع تزايد أعداد المطاريد الواضح حول الاستراحة والمقبرة ليشكل كل ذلك طوقًا على تحركات «آدم» و«هنداوي».

obeikan.com

(٥)

استغلت «بهجة» ذهاب «هنداوي» إلى القرية المجاورة وأخذت تزين لـ «آدم» خطتها في الحصول على الزئبق الأحمر وتسويقه عن طريق الشيخ «عوَّاد»، وبذلك يتحصَّلان على مبلغ أكبر مما يعرضه المطاريد، وبدأت الفكرة تتخمَّر في رأس «آدم» لكن كيف يمكن له التخلص من المطاريد والحصول على الزئبق الأحمر ؟! وأخذت «بهجة» في وضع تصور يمكن لها و«آدم» الحصول على الزئبق، وبدأت في تنفيذ خطتها.

أنارتْ «بهجة» الاستراحة، وبدأت في تجهيز أنواع من الطعام لفتت رائحتها المطاريد الموجودين حول الاستراحة في الخارج، وأسرع «آدم» بتشغيل بعض الموسيقى من مذياع صغير لديه، وفي لحظة مُحددةٍ استطاع «آدم» أن يتسلَّلَ من النافذة المطلة على الفناء

الخلفي للاستراحة في الوقت نفسه الذي كانت فيه «بهجة» تقوم بالتحرك من الغرفة إلى المطبخ وهي تقوم بترديد بعض الكلمات المغناة على وقع الموسيقى الصادرة من المذياع.

كمَن «آدم» في الفناء الخلفي حتى اطمأنَّ إلى اللحظة المناسبة، وأسرع الخطو في اتجاه المقبرة المفتوحة حديثًا وبمساعدة من حراس المقبرة تمكن «آدم» من الدخول إلى المقبرة ليلا، وأخذ «آدم» القنينة الموجود بها الزئبق الأحمر وعند خروجه وجد المطاريد في انتظاره، أطلق المطاريد بعض الرصاص للترهيب في الهواء وسرعان ما رد عليهم حراس المقبرة، وفي لحظة تحول التهديد باستخدام الرصاص إلى حرب حقيقية اِستخدم فيها المطاريد السلاح ورد عليهم حراس المقبرة.

حاول «آدم» الاختباء لكنه تعثر في جثة سقطت على الأرض، كانت جثة «هنداوي»، التفت «آدم» حوله محاولا التخفي بعيدًا عن مرمى الطلقات فسقط بجواره أحد حراس المقبرة التقط «آدم» سلاح حارس المقبرة وتبادل إطلاق النار مع المطاريد فأسقط منهم واحدًا آخر، حاول المطاريد إخراج من سقط منهم فأستغلَّ «آدم» لحظة انشغالهم وابتعد عن مكان المقبرة واختفى وسط الظلام.

أسرع «آدم» في اتجاه الاستراحة واصطحب «بهجة» معه، أخذ «آدم» يُسرع الخطو وخلفه «بهجة» قاطعين طريق الجبل صعودًا إلى منزل الشيخ «عوَّاد»، كان «آدم» يشرح لـ«بهجة» ما حدث، وهو يلهث وأنفاسه تتعاقب بسرعة بينما «بهجة» تُسرع الخطو لتلحق به في نفس اللحظة التي كانت تدوِّي فيها حولهما طلقات الرصاص من اتجاهات مختلفة.

حاول «آدم» الاحتماء من الطلقات حول صخرة بارزة في الجبل، واختبأت خلفه «بهجة»، كانت الطلقات تشبه في سرعتها وتتابعها رزاز الأمطار الغزيرة في ليلة شتوية مُمطرة، لم يكن «آدم» يعلم مصدر الطلقات، التفت «آدم» خلفه على «بهجة»، وهي تجذبه وتمسك به بشدة نظر إليها فوجدها قد أُصيبت بعدة طلقات وهي تجاهد للبقاء على قيد الحياة، أمسك «آدم» بيدها محاولا تشجيعها لكنها نظرت إليه، وعلى وجهها ابتسامة باهتة وكأنها تودعه، أمسكت بيده وضمتها إلى شفتيها وطبعتْ عليها قُبلة ثم أسلمت الروح.

شعرَ «آدم» برعب وفزع، ووقف وأخذ يطلق الرصاص كيفما اتَّفق، نفدت منه الرصاصات فكمَن وراء الصخرة، وأخذ يستمع لصوت

الطلقات المتتابعة، وبعد لحظات كان صوت الطلقات يخفت رويدًا رويدًا حتى سكنت أصوات الطلقات تمامًا.

سمع «آدم» حوله وقع أقدام عديدة، رفع رأسه فوجد نفسه محاطًا بالعديد من رجال الشرطة وأيديهم مشرعةٌ على أسلحتهم، رفع «آدم» يديه إلى أعلى مستسلمًا فاقتاده بعض الجنود من يده بعيدًا عن المكان، ألقى نظرة أخيرة ناحية «بهجة» فوجد بعض الجنود يقفون حولها، وهي ممدة على الأرض، سار «آدم» مع باقي الجنود فوجد على الأرض مجموعة المطاريد مُلقاة على الأرض، وقد فاضتْ أرواحهم ومن بينهم كبيرهم وهو ممسك بسلاحه.

كان وجود قنينة الزئبق الأحمر بحوزة، «آدم» ووجود بصماته على السلاح الذي قتل به أحد المطاريد وكذلك اعترافات «آدم»، كان كل ذلك دافعًا لصدور الحكم على «آدم الغرباوي» بالإعدام شنقًا، تقبَّل «آدم» الحُكم بذهول كاد أن يفقده عقله.

حاول كثيرًا أن يُبرئ نفسه لكن الدلائل كانت تحيط برقبته، وأخذت الأيام تتوالى في انتظار حكم الإعدام كان «آدم» يقضي ليله يتأمل ما حدث له طوال رحلة حياته تلك الحياة التي لم يختر أيَّ من

تفاصيلها؛ لكنه كان يشعر بأنه كان مدفوعًا في هذا الطريق، وكانت كل أمانيه أن يتمكن من أن يُعيد حياته مرة أخرى ربما أمكن له أن يغير مصيره ويحدد ما يفعله بحياته، شعر «آدم» باليأس يتسرب إلى نفسه بينما كان ضوء القمر يتسلل إليه من نافذة الزنزانة، فانهمرت دموعه على خديه بسرعة.

شعر «آدم» بتغير يحدث داخله نتيجة دموعه، فرفع رأسه في اتجاه النافذة التي يتسلل منها ضوء القمر فوجد ذات الريشة جالسة على الشباك وهي تنظر إليه مبتسمة بينما في الخارج لم يكن هناك قمر منير ولم يكن سوى الظلام، وقف «آدم» بسرعة وتوجَّه ناحية ذات الريشة وخاطبها:

-لقد حافظتُ على سرِّ التَّاسُوع كما طلبتِ مني تمامًا، وأنت وعدتني بإجابة ما أطلب.

ابتسمتْ ذات الريشة ونزلت من مكانها وتوجهت ناحية «آدم» وربتت على كتفه قائلة:

-نعم وعدتك، وسأجيب لك كلَّ ما تطلب.

شعر «آدم» بالأمل يدبُّ في أعماقه وكاد أن يطير من الفرحة وهو

يقول لها:

-أريد أن يهبني التَّاسُوع حياة جديدة ، لا أريد الموت الآن.

نظرت إليه ذات الريشة نظرة حانية متأملةً، ودارت حوله متسائلة :

-التَّاسُوع ؟ هل تريد أن يهبك التَّاسُوع حيوات؟

-نعم ، لقد أعطيتني كلمة مقابل وعد، وأنا حافظت على وعدي.

طافت أسئلة عديدة بذهن ذات الريشة،هل لو كرر «آدم» حياته سيكون بإمكانه تغيير ما قدر عليه؟ هل سيعاند قدره أم أنه سيكون أسيرًا له؟ بيد أنها لم يكن أمامها سوى الاستجابة لسابق وعدها.

-ولك ما تريد، كانت لك حياة، وسيهبك التَّاسُوع المقدس حيوات جديدة فقط.

وقبل أن تكمل ذات الريشة كلامها اختفت من أمام «آدم» الذي أخذ يتلفت حول نفسه باحثا عنها في كل مكان، ولكنه لم يجدها فأخذ يصرخ مناديًا إياها، وأخذ يضرب بيديه في الحائط والباب بكل قوة وعنف.

لكنه شعر بأن هناك من يُمسك يديه ويمنعها عن الطرق على الحوائط التفت ليعرف من يُقيد يديه فوجد نفسه مقيدا من الجنود في الفراش، وهو يقاومهم بكل قوة بينما هم يقومون بتقييد يديه تمهيدا لاقتياده لتنفيذ الحكم بالإعدام.

تبدَّت لـ «آدم» أضواء قُزحية مبهرة، أخذت الأضواء تتسارع وتتصارع ليزيح كل منها الآخر مُتحدًا فيه حتى لم يتبق في الأفق سوى شعاع وحيد من ضوء أبيض شاهق يأخذ الأبصار، ركز «آدم» بكل ما يستطيع محاولا كشف ما وراء الضَّوء الذي يكاد يعميه، لكنَّ «آدم» لم يُبصر بعد ذلك شيئا.

obeikan.com

obeikan.com

(٦)

كانت الأيـام تمرُّ متشابهة، يصحو من نومه مبكرًا، يذهب إلى عمله، يكشف لغز بعض الجرائم، يعود لمنزله، وينام تمهيدًا ليوم جديد حتى الجرائم التي ينجح في سبر أغوارها تكون دائمًا متشابهة، الشيء المختلف الوحيد كل يوم كان طالعه الذي يحرص على معرفته بواسطة إحدى العرافات كان يتجه إليها صباحا ليسمع ما تقول.

بعد فترة من الوقت أحضر العرافة إلى المنزل، وعاملها كفرد من العائلة، لم تختلف نبوءاتها كثيرًا، متاعب في العمل، ومشاكل صحية وبعض الحُسَّاد الذين يكيدون له، وعليه أن يحتاط منهم كان ينفذ ما تقوله بدقة، حتى سمع عن عرافة قادمة من بلاد المغرب أشاد بها الكثير من زملاؤه، وأشادوا بقدرتها على كشف الغيب قرر

التوجه إليها جلس أمامها بينما البخور يتصاعد ليحول بينه وبين رؤية ما تفعله العرَّافة التفتت إليه محذرة:

مكتوب عليك أن تموت في حادثة سيارة

شعر المسئول الأمني برعب ودهشة وهو يسمع ما تقوله له العرَّافة، كانت حياته تسير بشكل سلس لا تشوبه شائبة، ورغم زواجه المستقر وحياته الوظيفية الناجحة، لكنه كان يثق في العرافات وقارئات الفنجان، ولا يشرع في خطوة في حياته دون الرجوع إلى عرافة ما، وسؤالها عن الخطوة التي يوشك أن يتخذها ولهذا شعر بالفزع حين أخبرته العرافة القادمة من بلاد المغرب بموته نتيجة حادث سيارة.

انتابه الرعب بعدها من قيادة السيارة، وفي جهة عمله بذل الكثير من التحريات والتدقيقات حتى يصل إلى أمهر السائقين ليكلفه بقيادة سيارته، أحضر له أحد مساعديه سيرة ذاتية لبعض المجندين السائقين ليختار من بينهم واحدًا يكلفه بقيادة السيارة، دقَّق المسئول الأمني في الدوسيهات التي عرضها عليه مساعده اختار من بينهم أحدثهم خدمة وأمهرهم قيادة بل إنه زيادة في

الحِيطة حرص على وضع السائق تحت اختبارات عِدة حتى تأكد تمامًا من مهارته وحرصه في القيادة وكلفه بقيادة السيارة.

كان الجندي السائق بارعًا في القيادة بشكل مُذهل رغم حداثة سنه، فقد كان ابنا لقرية «المناصرة» إحدى قرى الصيادين الواقعة على ضفاف بحيرة المنزلة، ويعمل كل سكان القرية في تربية وزراعة الأسماك الأمر الذي يجعلهم يتخذون من «سرقة الزريعة « من البحر بالمخالفة لقوانين حظر صيد « الزريعة « مصدرا للدخل.

هذا الأمر الذي يجعلهم دائمًا عُرضة للمطاردة الدائمة من سلطات إنفاذ القانون، ولهذا تشكل حرفية القيادة بالنسبة لهم سبيلاً لسرعة الهرب كلما طاردتهم إحدى سلطات تنفيذ القانون بل إن الكثير من أبنائهم يتعلم القيادة ما أن يبلغ الثامنة ويبرع فيها بمجرد تمكنه من الاستواء خلف عجلة القيادة

ارتاح المسئول الأمني لهذه المعلومات التي عرفها عن المجند السائق، وكانت هذه المعلومات بالنسبة للمسئول الأمني جواز مرور ليتولي المجند الجديد لمهمة قيادة السيارة وقبول المسئول الأمني

له سائقا خاصًا يضع حياته بين يديه ولشعور المسئول الأمني بأهمية الحالة النفسية للمجند السائق فقد كان يستجيب لكل طلب يطلبه منه السائق دون تفكير في فحوى الطلب حتى لا يغضبه فتكون النتيجة حادثة مثل التي تنبأت بها العرَّافة.

كانت هذه المعاملة من المسئول الأمني للمجند السائق تفضيلا له عن باقي زملائه، بل إن السائق المجند أصبح مع الوقت هو وسيلة بعض الضباط الأقل رتبه من المسئول الأمني للحصول على بعض المزايا أو المنح من المسئول الأمني عن طريق السائق المجند، الأمر الذي وضع السائق المجند في منزلة خاصة لدى بعض الضباط خاصة حين أصبح هو وسيلتهم للحصول على بعض المزايا من المسئول الأمني.

وازداد إحساس السائق المجند باتساع نفوذه وسط الضباط وزملائه الجنود حيث كان يُيَسر لهذا سُبل الحصول على بعض «الراحات» أو غض الطرف عن بعض التجاوزات التي تتعارض مع الانضباط المفترض.

مع الوقت عرف بعض الضباط الأقل رتبه من المسئول الأمني

الكبير أنهم يمكنهم شراء أو تأجير بعض الأراضي أو تملُّكها بوضع اليد وتحويلها إلى مزارع سمكية، يقوم السائق المجند عن طريق بعض أقاربه بالعمل فيها أو حمايتها، وبذلك يحقق هؤلاء أرباحًا من هذه المزارع، ويُحقق السائق المجند أرباحًا أيضًا عن طريق عمله بتلك المزارع .

حقق هذا الوضع للسائق المجند نفوذًا كبيرًا بين أقرانه وبين مختلف الرتب وأصبح في مدة بسيطة محط أنظار الكثير من أهل بلدته الذين لجئوا إليه لتسهيل أمور حياتهم، وأصبح المُتعارف عليه أن ما يقرره السائق المجند هو الحق وسواه باطل، وفي مده لا تتجاوز العام أصبحت له الكلمة العليا في وحدته وفي بلدته وأصبح قانونه هو السائد.

دفعه هذا للاستعانة ببعض أقربائه وقرنائه لمساعدته في السيطرة على مجال المزارع السمكية التي وقعت تحت سيطرته وإشرافه وإدارته، فكان من الطبيعي أن يستعين ببعض الخارجين عن القانون ليمكِّن له فرض السيطرة، ووفر لهم السلاح الذي يمكنهم من مجابهة أي اعتداء من القرى المحيطة به.

في الوقت نفسه الذي عليه أن يوفر لرجاله المأوى والطعام وما يحتاجونه من وسائل إعاشة، الأمر الذي دفعه ليعمل في تجارة المخدرات والسلاح بُغية توفير أكبر قدر من المال يغطي به مصروفاته، خاصةً مع تكرار حوادث تسمم مياه المزارع التي أدت لنفوق الأسماك أكثر من مرة، لم يكن يعلم هل تسمم مياه المزارع بفعل فاعل أم أنه بسبب قرب المزارع من بعض مصانع المواد البترولية وما يمكن لهذه المصانع أن تصرفه من مياهها الملوثة في البحيرة التي يستخدمون مياهها في زراعة الأسماك، لم يكن لهذا أن يشغله فما يشغله هو توفير العائد المادي الذي اتفق مع الضباط عليه وتوريده لهم في المواعيد المحددة.

ازدادت تجارة «دومة» اتساعا حتى وصلت إلى القيادات الأمنية العليا وأصبح القبض على « دومة « واجبا، و«دومة» هو الاسم الذي عُرف به السائق المجند في وسط أهله وأصدقائه منذ طفولته، أسرَّ إليه أحد الضباط بوضعه على قوائم المطلوبين بشدة فما كان من «دومة» إلا أن تخلَّف عن معسكره.

أصبح «دومة» بذلك مطلوبًا للتغيب عن المعسكر، وكذلك مطلوبًا على ذمة عدد من القضايا، أخذ «دومة» يتنقل بين أكثر من «عشة»

أعدها على ضِفاف البحيرة وفي «مراحاتها « المختلفة لم يكن يظهر بالنهار، واتخذ من الليل ستارا لحركته، كان يعلم أن مسألة القبض عليه أصبحت الشُغل الشاغل للكثير من الضباط خاصة بعد أن تمَّت أكثر من حركة تنقلات، استبعَدتْ بعض الضباط الذين سبق له تقديم خدمات لهم أو أولئك الذين يدير لهم أمر مزارعهم السمكية.

إلا أنه مازال يحتفظ ببعض العلاقات التي تمكنه من معرفة توقيت المأمورية المكلفة بالقبض عليه فيسرع مغادرًا مكانه قبل أن تصل القوات إلى المكان الذي يختبئ فيه، ومع تكرار الفشل في القبض عليه، ومع تكرار الهرب كان عليه أن يتدبر مبالغ أكبر تعينه على التمكن من الهرب.

obeikan.com

obeikan.com

(٧)

لجأ «دومة» وأفراد جماعته إلى اختطاف بعض الأفراد وطلب فدية مالية مقابل الإفراج عنهم، وحقق ذلك لـ «دومة» بعض الوفرة المالية التي مكنته من تدبير احتياجاته لكنه في الوقت نفسه وضع نفسه في مواجهة الأجهزة الأمنية التي تلقت أكثر من تأنيب من قياداتها العليا للإخفاق في الإيقاع بـ «دومة».

صارت المواجهات اليومية مشهدًا متكررًا مابين رجال «دومة» وقوات الأمن، لكن «دومة» كان دوما يفلح في الهروب من موقع المواجهة قبل أن تحدث، وأصبح في ليلة وضحاها حديث الشارع بعد أن تعددت حوادث الخطف وطلب الفدية، ونالت السخرية من القيادات الأمنية وفشلها المتكرر في الإيقاع بدومة، مما دفع قيادة أمنية كبيرة للاستعانة بضابط شاب حديث التخرج مشهود له

بالكفاءة والحزم، وعهد إليه بملف «دومة».

انتقل الضابط مراد إلى مكان «دومة»، وحاول أن يجمع معلومات عنه تساعده في القبض عليه بناء على تكليف القيادات الأمنية، كان أول الخيوط التي وقع عليها الضابط مراد هو ملف خدمته في الوحدة التي كان مجندًا بها اصطحب الضابط الملف معه وتوجه إلى الاستراحة ليفحص الملف بدقة.

كانت أولى المعلومات المتوفرة عنه؛ الاسم: «آدم الغرباوي» ومن هذا الاسم أدرك الضابط «مراد» أن «دومة» هو اسم تدليل لـ «آدم» (آدومة) كانت الصيغة المستعملة في البداية، ومع الوقت تم حذف حرف (آ) وبقي «دومة» ملتصقا بـ «آدم»، أخذ مراد يجمع كل ما يستطيع من معلومات، وكلف عددًا لا يُستهان به من المرشدين لمحاولة الوصول لـ «آدم» كانت أقصى تقديرات «مراد» أنه يستطيع أن يأتي بـ «آدم» في خلال أسبوع واحد، لكنه فوجئ بأن «آدم» دائما يفلت من كل الكمائن التي كان يعدها له.

وصلت معلومات غير مؤكدة لـ «مراد» بأن بعض من كان يعرفهم «دومة» أثناء خدمته يقومون بنقل تحركات «مراد» إليه؛ ولهذا يفلت

«دومة» دائمًا من تلك الكمائن التي يعدها له الضابط، والتي كان آخرها حين وصلت معلومات لـ «مـراد» تفيد باختباء «دومـة» في إحدى العشش المتراصة على شاطئ البحيرة ليلتها أعد «مراد» القوة وأحاطها بقدر كاف من السرية.

حين هاجمت القوة العشة لم تجد فيها أحـدًا، لكن آثار الفحم المشتعل لزوم «الجوزة» كان يؤكد أن من كانوا هنا لاذوا بالفرار منذ دقائق، لم تكن معلومات الاختراق لمهمة الضابط مؤكدة له، لكن كان عليه أن يأخذها بعين الاعتبار مع تكرار هروبه.

أخـذ «مـراد» يضع خطط مغايرة، لكنه في كل مـرة كـان يُفاجأ بهروبه، صحيح أنه في بعض المرات تمكن من القبض على بعض مساعديه، لكن هذا لم يكن كافيًا بالنسبة لمستويات القيادة الأعلى التي أصبح «دومة» لها مطلبًا مُلحًا بعد أن تحول «دومة» إلى قضية رأي عام وأصبحت سيرته كابوسًا يقضُّ مضاجع القيادات الأمنية على مختلف مستوياتها.

تم تكليف القيادة التي عمل معها «دومة» في البداية كسائق بالتعاون مع «مراد» ووضع خطة الإيقاع بـ «دومة»، وعكف «مراد» مع القيادة

الأمنية على وضع خطة جديدة بهدف القبض عليه، شملت الخطة استبعاد كافة العناصر التي تعاملت معه أثناء فترة خدمته، تم استبعاد العديد من الضباط وضباط الصف والجنود والمرشدين.

اتَّسمت الخطة بالعمل على عدة محاور مع توجيه ضربات متوازية لعدد من الأماكن التي يتواجد فيها «دومة» في توقيت واحد، أخذ «مراد» يضع تفاصيل الخطة حتى اكتملت تمامًا ولم يتبق أمامه سوى تحديد ساعة الصفر.

تحول «دومة» إلى شبح غامض بالنسبة لمعاونيه ومساعديه، كان حريصًا على إخفاء أماكن تواجده يهبط على مساعديه فجأة ويختفي فجأة يفاجئ مساعديه بالحضور عن طريق البحيرة مستقلا أحد المراكب الصغيرة التي ركَّب لها موتورا يساعدها على سرعة الحركة ثم يغادرهم عن طريق سيارة حديثة حضرت إليه بدون سابق إنذار.

يُحدد لمساعديه مهمة محددة ثم يقوم بإلغائها في اللحظات الأخيرة، وقد يكلفهم بعمل في لحظة، وهم غير مستعدين له كان من الواضح لهم أن «دومة» لا يثق في أيّ منهم، وأنه دائم التنقل

بسيارات مختلفة ومراكب متعددة، ولم يكن يظهر في المكان الواحد أكثر من دقائق معدودة.

انتاب مساعدي «دومة» القلق والتوتر من قلة ثقته بهم لكن هذا لم يُغيِّر من تصرفات «دومة» الذي أصبح متأكدًا أن رقبته هي التي على المحك، ولهذا لم يكن عليه أن يغامر بل أن يتصرف بحرص ويقظة شديدين، وفاجأ «دومة» الرجال بمهمة على الطريق السريع.

هبَّ الرجال وحملوا أسلحتهم وفي لحظة كان الطريق السريع قد أُغلق من كافة الاتجاهات وتم إيقاف جميع السيارات وتفتيش من فيها والاستيلاء على نقودهم ومتعلقاتهم تحت تهديد السلاح وكذا تم الاستيلاء على عدد من السيارات الحديثة وترك أصحابها على الطريق، وفي لحظات كان «دومة» قد أنهى عمله وانطلق مع الرجال تاركين الطريق تعمه الفوضى والارتباك.

وحين وصلت القوات لمتابعة ما حدث وجدت الفوضى والاضطراب، وواجه الضباط حالة من الغضب المسيطر على الجميع نتيجة العجز عن مواجهة «دومة» أو القبض عليه.

تلقى «مراد» التوبيخ كاملا، وتم اتهامه بالعجز والتقصير، وتم

إعطاؤه الفرصة الأخيرة، إما أن يأتي بـ» دومة» حيًا أو ميتًا أو سيتم تنحيته عن هذه القضية كانت العملية الأخيرة لـ «دومـة» تحديًا كبيرًا لـ «مراد»، كان يحتاج هذه العملية ليوفر متطلبات مُلحة في الوقت نفسه الذي كانت فيه هذه العملية تشكل فارقًا مهمًا في مسيرة «مراد» المهنية.

لم يضيّع «مراد» الوقت، وعكف على وضع اللمسات الأخيرة على الخطة التي أعدها للقبض على «دومـة»، وحصل «مـراد» على الموافقة على تنفيذ الخطة وترك له القادة تحديد لحظة الصفر التي يراها مناسبة، كان على «مراد» أن يتظاهر بالفشل وعمد إلى تسريب أخبار عن ذلك عن طريق مرشديه الذين يشك أنهم حلقة وصل «دومة» بالمعلومات.

لم يسترح «دومـة» لهذا الاسترخاء من جانب «مـراد» فشدد من الحراسة على المواقع التي من الممكن أن يتواجد فيها، وعمد إلى المزيد من السرية والحذر وشهدت منطقة البحيرة حالة من الهدوء غير المسبوق، لكن «دومة» كان عليه أن ينفذ عملية أخرى فقام بها دون أن تعترضه أية قوات.

شعر رجال «دومة» أن اليد العليا دانت لهم وتصرف الكثير منهم بحريته بعيدا عن القيود التي فرضها عليهم «دومة»، في نفس الوقت الذي كان فيه «مراد» قد جند العديد من المصادر غير المعروفة لتجمع له المعلومات، ووصلت المعلومة المنتظرة إلى «مراد» كان الخلاف قد دبَّ بين عدد من رجال «دومة» حول تقسيم مناطق النفوذ ووصل الحال بينهم إلى إطلاق النار على بعضهم البعض.

وتحرك «دومة» إلى رجاله محاولا السيطرة عليهم وفرض الهدوء حتى لا يقعوا جميعًا، في الوقت نفسه الذي تحركت فيه القوات بإشارةٍ من «مراد» لمأمورية غير معروفة ركب المسئول الأمني سيارته وتحرك في نفس توقيت تحرك «مراد» وتجمعت القوات على مقربة من الطريق السريع وأخذت جميعها وضعية التأهب للقتال، شعر «دومة» بوجود القوات قريبة منه بوصول رنة من رقم معين على هاتفه النقال.

أسرع «دومة» بتوزيع رجاله على جنبات الطريق، وأخذ الرجال يطلقون طلقات متتابعة في الهواء وفي اتجاه القوات، ردت القوات على مصادر النيران بعنف وتحركت السيارات لتحاصر موقع إطلاق النيران، أسرع «دومة» بالاختباء خلف السور الذي يفصل

الطريق السريع عن البحيرة واتخذ من الحاجز ساترًا، وهو يطلق النيران، سقط عدد من الجنود فأسرع بعض زملائهم بإخلائهم من المنطقة.

تحرك المسئول الأمني بسيارته مسرعًا في اتجاه سيارات الإسعاف فأصبحت السيارة في مواجهة «دومة» الذي سارع بإطلاق طلقة مباشرة في اتجاه السيارة فأصابتها إصابة مباشرة في الإطار الأمامي فاختلت عجلة القيادة في يد السائق، واصطدمت السيارة بالحاجز الحجري وانقلبت عدة مرات ثم انقلبت من فوق السور الحديدي لتستقر بقاع البحيرة في لحظات معدودة ،ولقي المسئول الأمني مصرعه في الحال.

تحولت المنطقة إلى كتلة من الغضب المتبادل والعنف، وكل جانب يحاول أن يسيطر على مصادر نيران الجانب الآخر، استغل «دومة» ورجاله حالة إطلاق النار المتواصل من جانب القوات وهبط «دومة» ورجالة إلى مياه البحيرة حيث كانت تنتظرهم بعض القوارب التي استقلوها مستغلين الظلمة التي تسود البحيرة، وما هي إلا لحظات حتى كان «دومة» ورجاله قد ابتعدوا، وتوقف إطلاق النار من ناحيتهم، أمر «مراد» رجاله بوقف إطلاق النار، وأخذ

الرجال يمشطون المكان فتبيّن لهم وقوع عدد من القتلى من بين رجال «دومة» وكذلك من بين الجنود.

لم ينم «مـراد» هذه الليلة، كان يفكر في ما حدث، كان «دومـة» على بعد خطوات منه لكنه أفلت كالعادة، وخسر «مراد» بعضا من الرجال، كذلك وفـاة المسئول الأمني الكبير، أخذ «مـراد» يعيد ترتيب أوراقـه ليضع الخطة التي تمكنه من إنهاء هذا الكابوس، في الوقت نفسه الذي كان «دومة» ورجاله قد خرجوا خارج نطاق البحيرة تماما بعيدا عن «المراحات» واتخذوا من إحدى القرى الواقعة على شاطئ البحيرة ملاذا لهم في حماية بعض الخارجين عن القانون.

أخذ «مراد» مأمورية معه وخرج يجوب «مراحات» البحيرة، كان شِبه متأكد أنه لن يجد أحدا بـ «المراحات»، وجد بعض الخارجين عن القانون لكنهم ليسوا من رجال «دومـة» ألقى القبض عليهم واتجه إلى مقر عمله.

تواصل مع قياداته، كانت بعض القيادات ترى تنحيته عن القضية لفشله في وضع نهاية لها، وكانت بعض القيادات ترى أن تمنحه

الدعم والتأييد لإنجاز المأمورية حتى نهايتها خاصة وأن «مراد» قد تعامل مع القضية على أنها مهمته الوحيدة التي يجب أن ينجح فيها وتم تكليف «مراد» بالاستمرار .

وطلب «مراد» التنسيق مع مديريات الأمن التي تُطل بلداتها على شاطئ البحيرة، وفي لحظة واحدة قامت المأمورية التي حددها «مـراد» بالهجوم من عدة محاور على قرى البلدات المطلة على البحيرة، وأمكن لهذه المأمورية القبض على معظم رجال «دومة».

obeikan.com

(٨)

شعر «دومـة» بأنه صار وحيدًا بعد أن فقد رجاله، توجه «دومة» لإحدى المدن في محافظة الدقهلية، وعرض على بعض معارفه رغبته في استخراج جواز سفر يمكنه من مغادرة البلاد، كان الوقت يمرُّ بسرعة على «دومة»، والطوق يضيق عليه ورقبته هي التي أصبحت على المحك، ساعده الرجال على استخراج جواز السفر.

في الوقت نفسه الذي كانت هذه المعلومات تصل إلى «مراد» عن طريق العيون التي زرعها وكلفها بالبحث، وأصبحت مسألة القبض على «دومـة» هي مسألة وقت بالنسبة لـ «مـراد» كان «مـراد» يريد من «دومة» الخروج خارج التجمعات السكنية لكن المعلومات كانت تؤكد وجود «دومة» دائما في أماكن مكتظة بالناس، أخذ «مراد» يعد العدة واتَّجه إلى حيث المكان الذي يقطنه «دومة».

عاين «مراد» المكان وتأكد من أن أي محاولة للقبض على «دومة» في هذه المنطقة سيقع نتيجتها العديد من الضحايا، خاصة بعد توافر معلومات تؤكد أن «دومة» يمتلك بحوزته سلاح (آر بي جي)، كانت هذه المعلومة مصدر قلق لـ«مراد» وعرضت القيادات الأمنية على «مراد» تأجيل القبض على «دومة» في هذه المنطقة بسبب هذا السلاح الذي بحوزته لكن «مراد» أصر على استكمال المهمة.

استغل «مراد» وجود بعض الخارجين السابقين عن القانون في هذه المنطقة واعتمد عليهم في توفير غطاء له ولعدد محدود من الرجال، وأخذ «مراد» ورجاله يراقبون «دومة» عن قرب ويعدون عليه حركاته وسكناته، كان «دومة» طول الوقت يتصرف بحذر وحرص بالغين لكنه أبدا لم يكن يفارق سلاحه.

أصبحت المدة المحددة لـ«دومة» لإنهاء إجراءات سفره على وشك أن تنتهي ووصل إلى «دومة» بعض الرجال ومعهم جواز السفر الخاص به بعد إنهاء عملية تزييفه،ورتب «دومة» أموره مع الرجال، وتعهدوا له بأن تأتيه سيارة لتُقلَّه في الصباح التالي.

شعر «دومة» بالراحة وأمضى باقي اليوم وجزءًا كبيرًا من الليل،

وهو يحاول أن يتخيَّل ما ستكون عليه حاله بعد السفر، وبعد الفجر بقليل ومع أول ضوء كلف «دومة» مرافقه بإحضار طعام للإفطار على أن يستغرق «دومة» في النوم لساعتين تمهيدا لمشاق اليوم القادمة، كانت هذه الفرصة التي انتظرها «مراد».

أُلقى القبض على مرافق «دومة» وعُرف منه أن «دومة» سينام قليلاً، أصدر «مراد» أوامره فأحاط رجاله بالشقة التي بداخلها «دومة»، وفي لحظة واحدة كان الرجال ينتشرون في الشقة ويحيطون بـ«دومة» الذي فوجئ بنفسه مقيدًا ولم يتمكن من الوصول لسلاحه.

استسلم «دومة» ما أن أدرك أنه لا مجال للمقاومة، واقتاده «مراد» بعد أن جمع الأسلحة والمحرزات من الشقة.

أمضى «آدم» لحظاته في انتظار اللحظة التي سيتم فيها تنفيذ حكم الإعدام كان قد استنفذ درجات التقاضي المسموح بها، وكان يعرف أن الإعدام هو السبيل الوحيد المتاح أمامه كانت لياليه تمضي متتابعة لا يعرف النوم طريقًا إلى عينيه قبل أن يشرق ضوء النهار، كان يدرك بسابق خبرته كمجند أن تجهيز المحكوم بالإعدام يكون قبل شروق الشمس، فكان لا يعرف النوم قبل شروق

الشمس.

وأخذت الأيام تتابع حتى كانت اللحظة التي يعرفها، فتح باب الزنزانة فاستسلم لأيدي الجنود التي اقتادته في طريق بدا له طويلا، وهو يراجع تفاصيل حياته التي كانت تعبر في مخيلته متسارعة حتى أسلمته أيدي الجنود إلى محطته الأخيرة.

أخذت الإجراءات تسير سيرها المعتاد في مثل هذا الظرف، و«آدم» يراقب ما يحدث متأملاً ذات الريشة التي كانت واقفة على البعد تراقب وعلى شفتيها ابتسامة باهتة واقترب عشماوي من «آدم»

شعر «آدم» بجسمه ينساب في هدوء، وهو ممدد على سطح البحيرة تجذبه تيارات خفيفة في الوقت نفسه الذي يظهر فيه القمر منيرا ما حوله، شرد «آدم» قليلا في هذا الهدوء المسكون به سطح البحيرة، في ذات اللحظة جذبته يدٌ قوية إلى قاع البحيرة بقوة وسرعة لم ينتبه لها إلا حين اصطدم جسده بقاع البحيرة، استفاق «آدم» وأخذ يجدف بيديه محاولا الوصول إلى السطح مرة أخرى، لكنه شعر أن يديه عاجزتان ولا تساعدانه، حاول كثيرًا وهو يشعر بالماء يكاد يخنقه بيّد أن سطح البحيرة كان بعيدًا، ولم يستطع «آدم» الوصول إلى سطح البحيرة.

(٩)

للحب قوانينه التي تحكم علاقة المحبين، لكن العشق والغيرة حين يتمكنان من شخص ما، فدائمًا ما تكون النتيجة عكس هوى العاشق، يحكمها غرائز عدة متنوعة، وإن كانت غريزة التملك قد تعمى العيون أحيانًا فلا يبصر العاشق طريقه، وربما كان العاشق يرسم طريقًا مغايرًا لأحلامه تخطه له غرائزه فيجد نفسه مدفوعًا بكليته في طريق لم يخطط له من البداية.

كانت «مروة» تبذل كل جهدها للاحتفاظ بالرجل الذي عشقت، كانت تحرص على الالتقاء به بشكل يومي، صحيح أنه زميلها في العمل لكنها كانت تبتكر أعذارًا تمكنها من مقابلته طول اليوم، ما بين دعوته لحفلات أعياد ميلاد أو مناسبات اجتماعية مختلفة.

كانت تستغل معرفته الواسعة بالكثير من أمور الحياة لتدفع به في

تفاصيل مشاكلها اليومية بحيث لا يستطيع زوجها الاعتراض على وجوده اليومي كان الزوج أحيانا ما يبدي تبرمه من هذه العلاقة، وكانت «مروة» تعلم أن زوجها وزميلها لن يكونا أصدقاء لاختلاف طباعهما الشخصية.

تذمر زميلها مما تدبره «مروة»، دائما، بذل جهدًا فائقا للتهرب من هذه اللقاءات اليومية طاردته «مروة» بالموبايل الذي كان لا يكفُّ عن الرنين لو لم يلتقيها يوما، كانت «مروة» تلقي بكل تحذيراته جانبا في الوقت الذي كان هو فيه يلحظ نظرات الزوج ويخشى أن يدبر له الزوج مكيدة يكتشف من خلالها علاقته بـ «مروة»، لكنها كانت تحاول بكل الجهد أن تنهل من علاقتها به قدر ما تستطيع من حب وجنس وعاطفة كانت تشعر بالحرمان منها.

ابتعد الزميل عنها لأيام بحجج متباينة، لكنها كانت تدحض هذه الحجج والمبررات وتطالب باللقاء تحت أي ظروف اضطر، «آدم» زميلها في العمل إلى استمرار التهرب منها فواجهته بأن حبه لها قد تقلص في قلبه.

حاول أن يطمئنها بأنه مازال يحبها وسيظل يحبها قالت له إن بعده

عنها ليس دلالة حب قال لها:

-حتى لو لم نلتقِ مرة أخرى فسيظل حبك في قلبي إلى الأبد.

-وكيف يكون الحبُّ موجودًا وأنا لا أراك،؟ كيف يكون الحب موجودًا ونحن لا نرى بعضنا البعض؟

-إن الناس تؤمن بوجود الله، وتحبه، ومع ذلك لا تراه.

-ليس هذا هو الحب الذي أريده.

-سأحبك في كل الأحوال، سواء كنتِ معي أم كنتِ في بلاد بعيدة.

-أريد حبك وأريدك.

-ليتني أستطيع أن أكون إلى جوارك دائما كنت حينها سأعمل على إسعادك طول الوقت.

-هذا ما أريده.

-ليس مقدرٌ لنا أن نكون مع بعضنا البعض لقد فرقتنا الأقدار قبل أن نلتقي.

-بإمكاننا أن نغير أقدارنا بإمكاننا أن نكون معًا، لا يمكن لي الحياة بدونك.

-لو وافقتك على هذا فسندمر حياة آخرين ابنتي وزوجك.

-زوجي لا يعنيني لم يكن اختياري من البداية.

-لكنك استمررت معه طيلة هذه المدة وابنتي لن تستوعب الأمر، سأسبب لها صدمة وأكره أن أراها مصدومة.

-وتقبل أن تراني أفقدك؟

صمت «آدم» وأمسك بيد «مروة» محاولا طمأنتها، نظر في عينيها، شعرت بالأمان وهي تنظر إليه، ودَّت أن ترتمي في حضنه، حافظ على مسافة كافية بينه وبينها حتى لا يلفت أنظار زملاء العمل.

شعرت «مروة» بردة فعله، وبدفعة من قدمها كانت قد أغلقت باب الغرفة وجذبته في نفس اللحظة ناحيتها مقبلة شفتيه، بادلها «آدم» القُبلة وشعرت «مروة» برغبته فيها تزداد فابتعدت عنه بابتسامة ماجنة، ارتبك «آدم» وهو يشعر بالرغبة التي اتَّقدت بداخله،حاول أن يتقدم إليها ففتحت باب الغرفة وقالت:

-سأنتظرك في المنزل.

ضحكت وغادرت مسرعة لم يستطع «آدم» أن يحسم الأمر كيف سيتوجه للمنزل ؟ وكيف سيبرر وجوده في المنزل لو فاجأه الزوج؟ آلاف الأسئلة ظلت تدور برأسه ولا يجد لها إجابة سوى أن الرغبة هي التي حكمت تصرفاته.

غادر محل العمل مسرعًا وتوجه إلى المنزل انتظر حتى حضرت ابنته «جنى» من المدرسة، كان قد جهز لها طعام الغذاء أطعمها مسرعا واصطحبها إلى منزل جدتها رجته «جنى» أن تبيت لدى جدتها الليلة خاصة واليوم التالي إجازة وافق «آدم» على طلبها وانصرف مسرعًا.

طلب «مروة» في الموبايل فوجدها في انتظاره بمنزلها، أسرع إليها وقابلته بكل الشوق من على باب الشقة قبل أن يلتقط أنفاسه كانا عاريين تماما في صالة الشقة وكل منهما ينهل من ينابيع الآخر.

استندت «مروة» على صدره وهي تلتقط أنفاسها، عاوده هاجس الخوف أفهمته بأن زوجها قد سافر في مأمورية إلى أسوان ولن يعود قبل يومين، لم يشعره هذا بالاطمئنان الكافي فأخبرته بأنها تحدثت مع زوجها على الخط الأرضي في الفندق الذي يقيم به

وحتى يزداد «آدم» اطمئنانا جذبت الهاتف وطلبت الرقم ثانية وأوهمت الزوج بأنها نسيت أن تطلب منه شيئا ما، أجابها الزوج بأنه سيحضر لها ما طلبت.

شعر «آدم» ببعض الراحة لبعد المسافة من الإسكندرية حيث «آدم» و«مروة» إلى أسوان مكان تواجد الزوج.

أغلقت الهاتف وأخذت «آدم» بين أحضانها كانت حريصة على أن تحتفي بـ «آدم» وأن تشعره بالاهتمام والحب قالت «مروة»:

-تعمدت أن أُخفي هاتفه قبل أن يخرج حتى أحادثه على الرقم الأرضي لتطمئن أنت، أنا أعلم أنه بخيل ولن يشتري هاتفا آخر ألم أقل لك إنني حريصة أكثر منك؟

ضحكت «مروة» بدلال وتركته وتوجهت إلى الحمام، دعته بعد خروجها لدخول الحمام، وعند خروجه كانت قد هيأت له عشاءً رومانسيًا على ضوء الشموع، كانت كل لمساتها تدفعه لحبها، وكانت من ناحيتها حريصة على أن تأسره تماما.

فوجئ الزوج بالهاتف يرن قبيل الفجر بقليل انتفض من النوم وردَّ على الهاتف، كانت «مروة» على الطرف الآخر من الخط وادَّعت

أنها استيقظت على كابوس أفزعها طمأنها الزوج ودعاها للعودة للنوم، وأخبرها أنه سيعود بعد أن ينهي عمله في اليوم التالي.

أغلقت «مروة» الهاتف ولم يكن هناك كابوس قد أفزعها لكنه شعور بالقلق راود «آدم» جعلها تُجري هذه المكالمة، كانت هذه المكالمة سببًا في لحظات حميمية استمتعت بها «مروة»، لكن المكالمة كانت سببًا ليقظة الزوج الذي شرد مع أفكاره وخوفه وقلقه على زوجته خرج الزوج إلى الشرفة وأخذ يراقب لحظة شروق الشمس من شرفة الغرفة فسقط أول شعاع للشمس على وجهه.

كان وجه الزوج جميلاً بالمعنى التقليدي للكلمة لكنه كان بارد المشاعر دائم التجهم دون سبب، عكس «آدم» الذي كان وسيما بالمعنى العام، لكنه كان مليئا بالحماسة والحب والحنان الذي يمكن أن ترتشف منه «مروة» ما تريد إضافة إلى أن انشغال «آدم» بالشأن العام كان يجعله دائما محط الأنظار تزين صورته الجرائد في مناسبات عدة.

كان «آدم» حريصا على استمرار علاقته بـ «مروة» رغم كل الأخطار المحيطة بهذه العلاقة، كان يجد فيها شبقا جنسيا لم يعهده مع

زوجته الراحلة أو مع أي علاقة أخرى دخل فيها وكانت هي اعتمادا على ثراء زوجها وميراثه تشكل لـ «آدم» درجة من الأمان المادي، وكان اهتمامها بتفاصيل حياة «آدم» ومحاولة إزالة أية عوائق أمامه لجعل حياته بسيطة وسلسة وميسرة، اهتمامها بملبسه وطعامه وحتى علاقاته بالآخرين.

تنظيم مواعيده وتذكيره بها حثه على الوفاء بكل ما من شأنه إنجاح عمله كل هذا وأكثر كان يجذب «آدم» إليها، كان «آدم» يجيد بدون اصطناع الاستماع لـ «مروة»، وكانت هي أيضا تجيد الإنصات إليه بكل شغف لحظاتهما معا كانت خليط من مشاعر وتفاهمات، كانت حين تنظر في عينيه يشعر بأنه كائن مختلف، وأرادت «مروة» قضاء يوم مختلف بصحبة «آدم»، عرضت عليه الخروج لكنه تردد كثيرًا كان يخشى أن يراه أحد بصحبتها ولم لا؟ وهو شخصية عامة معروفة ويمكن أن يلتقيه أحدهم في أي مكان.

اقترحت «مروة» المنتزه مكانا للخروج، تردد «آدم» فقد كان الخروج لمثل هذا المكان يعني إنفاق راتب شهر كامل وربما يزيد، شعرت «مروة» بذلك فوضعت بين يديه رزمة من النقود لتحسم تردده، وأسرعا معًا لقضاء اليوم على شاطئ المنتزه بعد أن

استأجر «آدم» جناحًا في أحد الفنادق ليتمكنا من اقتناص بعض اللحظات الحميمية بداخله.

حرصت «مروة» على ارتداء ملابس السباحة وارتمت في أحضان «آدم» بينما كان القارب البخاري يأخذهما في جولة سريعة فوق مياه البحر، حاولت «مروة» أن تنهل كل أسباب البهجة والفرح من وجهة نظرها قُبلة على شفاه «آدم» وهي على ظهر القارب البخاري، لمسة ليده وهما يخرجان من القارب، إطعامه بيدها، وهما يتناولان الطعام في مطعم الفندق الجلوس ملتصقة به وهما يشاهدان غروب الشمس من شرفة الغرفة بالفندق.

وضع رأسه على فخذها، وهما يشاهدان التليفزيون بينما يدها تداعب شعره، الجلوس على رجله وهي تشعل سيجارته، مشاركته السيجارة التي يدخنها، النظر في عينيه، وهو يحادثها، الوقوف إلى جواره وتشمم رائحته، الاستلقاء إلى جواره على الفراش ومداعبته الاستغراق في قُبلة طويلة تحاول بها أن تحتويه داخلها.

obeikan.com

(١٠)

أفاقت «مـروة» من متعها المتتابعة على صوت هاتفها الجوال، نظرت إلى الرقم الطالب فوجدت كود محافظة أسوان، استعادت الهدوء وتصنعت النوم وأجابت على الهاتف، كان زوجها يخبرها بأنه قد حجز في قطار اليوم التالي، حرصت على تكرار كلماته باعثة شعور بالأمان لـ «آدم»، مررت ساقها إلى جسد «آدم» المستلقي إلى جوارها وأخذت تتحسسه، في الوقت نفسه الذي تتظاهر فيه بالرغبة في النوم وهي تتحدث مع زوجها.

استثارت طريقتها مشاعر «آدم» وغرائزه فاعتدل جوارها، وقبل شفتيها، استغرقت «مروة» مع قُبلة «آدم» لكنها استمرت في إصدار صوت معناه أنها متابعة لحوار زوجها في الهاتف، ازدادت رغبة «آدم» فيها وأخذ يقبلها من جميع أجزاء جسدها.

خشيت «مروة» أن يفوتها جزء من المتعة فأنهت المكالمة مسرعة، وألقت الموبايل بعيدًا عنها، وألقت بنفسها في أحضان «آدم» محتوية إيَّاه باحثة عن معنى جديد للمتعة، وكان «آدم» جاهزا للإبحار بها داخل مناطق لم ترتدها مشاعر «مروة» من قبل رغم سنوات زواجها التي تعدَّت العشر سنوات، أمضيا الليلة بطولها في البحث عن معاني متجددة بطرائق مبتكرة وكل منهما يحاول أن يجعل من نفسه سببا لمتعة الطرف الآخر وسعادته.

تكررت اللقاءات بين «مروة» و«آدم» مع تكرار سفر الزوج الذي كان مرتبطًا بتسوية بعض الأمور المالية المرتبطة بميراثه، ازدادت «مروة» تعلقا بـ «آدم» الذي عرض عليها الانفصال عن زوجها وبدء حياة جديدة معه، لم تعجب الفكرة «مروة» فهي تعرف ظروف، «آدم» المادية، ودخله من عمله يذهب جزء كبير منه لنفقات ابنته إضافة إلى أن «مروة» رفضت ترك زوجها بعد أن تحسنت أوضاعه المالية كثيرا نتيجة الميراث كانت دائما تكرر لنفسها:

-هل كان علي أن أتحمَّله سنوات طوال مع فقر موارده المالية، وعندما تتحسن ظروفه المادية أتركه لتأخذه أخرى؟

تحيَّر «آدم» في فهم «مروة»،هل تريد الاحتفاظ به وبالزوج معا؟ كان «آدم» كثير التساؤل حول هذا الأمر، وصارحته «مروة» بأنها لن تسمح للزوج بأن يستمتع بهذا الميراث منفردًا ولن تسمح للفقر بأن يدمر علاقتها بـ «آدم» ولن تسمح لأخرى أن تستمتع بثراء الزوج الذي أتاه بعد أن تحملت «مروة» معه سنوات من قلة الدخل وعدم القدرة على الإنجاب.

لقد تحملت كل ما سبق حتى لا يقال عنها مطلقة يوما، وارتضت أن تعيش شبه حياة مع رجل لا يقيم للمشاعر وزنًا، لم تعرف معنى الجنس بشكل حقيقي سوى من خلال علاقتها بـ «آدم» صحيح أنها تكره زوجها، لكنها تحب أمواله ولن تتركها تفلت من أيديها .

انهارت «مروة» وبكت كثيرًا، حاول «آدم» التخفيف عنها، لم يُحدد سبب بكائها لكنه كان يدرك أنها لا تريد زوجها وفي الوقت نفسه تريد أمواله، حار «آدم» في كيفية معرفة ما يدور داخل رأس «مروة»، لكنها أخبرته ألا يشغل باله، وأنها ستتولى تدبير الأمر.

شعر «آدم» أن «مروة» تدبر شيئا ما ولا تريد أن تطلعه عليه خاصة في الأوقات التي تقرر فيها «مروة» عدم الالتقاء بـ «آدم»، كان الشك

يسيطر على «آدم» يخشى أن تقدم «مروة»، على فعل لا يمكن تدارك آثاره بيّد أنه كان يُهدِّئ نفسه وأفكاره بمعرفته أن «مروة»، تخاف على نفسها جدًا، ولا يمكن أن ترتكب حماقة تورطها بأي شكل من الأشكال لكن الوساوس مابرحت تطارد «آدم» الذي أصر على معرفة ما تدبره «مروة»،وصارحته «مروة» بأنها ترتب شيئًا سيكون له ولها فيه الخلاص.

أصر «آدم» على الفهم وأخبرته «مروة» بأنها قد تمكنت عن طريق الإنترنت من التواصل مع أحد المشايخ الذي عرض عليها أن يخلصها من الزوج تمامًا، خشي «آدم» على نفسه من التورط في جريمة وأخذ يفكر في ابنته ومصيرها لو تركها وحيدة لكن «مروة»، أخبرته أن الموضوع لن يمسها أو يمس «آدم» إذ أن الشيخ سيقوم بتدبير حادثة للزوج عن طريق تسخير الجن لتنفيذها في إحدى سفرياته وبذلك ترث «مروة» ثروة الزوج وتستمتع بها مع «آدم».

كان «آدم» قد سمع كلامًا كثيرًا مثل هذا لكن عقله يرفض أن يصدقه ويدرك أنها أعمال دجل يقوم بها البعض للحصول على أموال من بعض السذج صارح «مروة» بمخاوفه لكنها أكدت له أنها واثقة مما تقول وأن هناك الكثير من الناس الذين أمكن لهم فعل

أشياء مثل تلك، وأنها لن تدفع شيئا قبل أن يحقق لها الشيخ ما تطلب حذرها «آدم» كثيرًا لكن «مروة»، كانت قد عقدت قرارها ولم يكن بوسع «آدم» إيقافها عن الطريق الذي قررت أن تسير فيه.

سألها «آدم» عن تلك الأيام التي تبتعد فيها عنه فصارحته بأن الشيخ يزودها بالعديد من الأوراد والأدعية التي يجب عليها أن تقولها، وهي في حالة من الطهارة أخذ عقل «آدم» يطرح عليه العديد من الأسئلة كيف تقدم «مروة» على ترديد تلك الأدعية في أيام بعينها وتحرص بهذه الكيفية على طهارتها وفي الوقت نفسه تقابله في أيام أخرى وتمارس معه الجنس بكل حميمية دون أدنى شعور بالذنب؟!

هذا التناقض في تصرفات «مروة» كان دافعًا للمزيد من التساؤلات التي أخذت تعصف بعقل «آدم» ولم يجد لها تفسيرًا، كانت «مروة» على قدر كبير من التعليم والثقافة لكنها في الوقت نفسه تؤمن بقدرة المشايخ على تحريك الجن بل ودفعهم لأداء خدمات مثل تلك التي تطلبها «مروة»، وهذا الرجل الذي يحرك الجن كيف له أن يفعل ذلك؟ أسئلة متعددة كادت تعصف بعقله لكنه لا يجد لها إجابة.

لم يكن «آدم» متدينا بالمعنى المعروف، كان يصوم رمضان ويحرص على أداء صلاة الجمعة في جماعة لكنه في باقي تصرفاته كان يعيش حياته كيفما اتفق، صحيح أنه لا يؤمن بقدرة المشايخ على تسخير الجن بل إن ما حوله من مظاهر حضارة ومدنية تجعله يستنكر ويرفض تلك الأفكار لكنه لا يستطيع أن يقدم البديل لذلك.

كان دائم التساؤل والتفكير، وهو ما جعله يرفض في قرارة نفسه ما تُفكر فيه «مروة»، صحيح أنه حاول تخويفها من مغبّة ما تفعل لكنه لم يعلن رفضه التام أو موافقته التامة ترك الأمر في مساحة تتيح لها الاستمتاع بما تفكر فيه، وإن كان في الوقت نفسه قد أبدى تحفظه على ذلك الشيخ خاصة حين أخبرته «مروة» أنها قابلت الشيخ ونقدته مبلغا ماليا، كان هذا هو المدخل لـ «آدم» كي يبرهن أن هذا الرجل نصاب وعليها ترك إعادة التفكير في هذا الموضوع لكنها أخبرته أن المبلغ الذي أخذه الشيخ هو لمجرد إحضار بعض الطلبات وأن باقي المبلغ سيأخذه بعد أن ينفذ طلبها.

حاول «آدم» قدر استطاعته أن يجاري «مروة» في أفكارها وتصرفاتها حتى كان اليوم الذي بكت فيه بين يدي «آدم» وهي تعترف له بأنها ذهبت إلى بلدة الشيخ بناء على طلبه حتى يستكمل لها ما يقوم

به وأنها كانت حريصة جدا عنده ولم تتناول أي مشروب، وعندما شعرت بأن الرجل يراودها عن نفسها أصرت على الرحيل، وعنَّفته بكل قوة وأظهر لها الرجل بأنه قد ندم على ما فعل وأنه أخطأ في تقديرها ووعدها أن لا يعود إلى مثل تلك الفعلة ثانية، وأوهمها الرجل بأنه سيقوم بتحضير ما طلبت أمامها حتى تطمئن.

وأشعل الرجل البخور وأخذ يتمتم ببعض كلمات مفهومة حينًا، غامضة في الكثير من الأحيان، واقترب بالبخور من «مروة» التي لم تشعر بعد ذلك بشيء سوى في اللحظة التي أفاقت فيها على صداع شديد في الرأس وعندما حاولت أن تتمالك نفسها وتقف وجدت أن الرجل قد قضى منها وطره عندما كانت غائبة عن الوعي بفعل المادة المخدرة التي وضعها الرجل في البخور.

obeikan.com

obeikan.com

(١١)

صُعق «آدم» وهو يستمع لهذه التفاصيل، وبكت «مروة» بين ذراعيه كثيرًا كانت بحاجة للحماية والاطمئنان ربت «آدم» على كتفيها وأشعرها أنه غير غاضب لكونها كانت بغير إرادة شعرت «مروة» بالاطمئنان عندما أوهمها «آدم» بتصديق روايتها واستكانت بين أحضانه لكن «آدم» كان قد غيَّر نظرته لـ«مروة» ومكانتها في اللحظة نفسها.

تحولت من حلم يكمل به حياته إلى مجرد عشيقة يلتقيها بين الحين والآخر، تصلح له أو للرجل الذي استغلها رغم تحذيره هو شخصيًا لها لم تعد داخله تلك اللهفة التي كان يشعرها تجاهها، انطفأت جذوة المشاعر الفياضة وتركت مكانها لغريزة حيوانية يسعى «آدم» لإرضائها حين تنهشه والغريب أن «مروة» ازدادت تعلقا بـ

«آدم» كلما تجاهلها وعاملها بخشونة زائدة كانت كأنها تكفر عن ذنب ارتكبته في حق علاقتها به في الوقت نفسه الذي كان «آدم» فيه يبحث عن حُججٍ واهيةٍ يُنهي بها عَلاقته ب«مروة»، وكان كلما فعل ذلك تمسكت «مروة» به وازدادت تعلقًا وشغفًا بـ «آدم».

استمرت علاقة «آدم» و«مـروة» على الوتيرة نفسها كلما حاول التهرب منها ازدادت هي اقترابًا واندفاعًا في العلاقة، لم تعد «مروة» حريصةً كما كانت في السابق مما أشعر الزوج بأن هناك شيئًا يدور من خلف ظهره، حاول «آدم» أن يكتم مشاعره المتأججة تجاه «مـروة» في نفس الوقت الـذي تشتعل فيه عواطف ومشاعر «مـروة» وغرائزها تجاه «آدم» في الوقت نفسه الـذي يشتعل فيه الزوج من الغيرة التي تكاد تقتله بيد أنه لا يجد دليلا عليها.

أخبر الزوج «مروة» بنيته السفر صباح اليوم التالي، وفرحت لقرب لقاء «آدم»، حاول الزوج الاقتراب من «مروة»، في ذلك اليوم لكنها ابتعدت عنه فقد كانت تكره لحظة اللقاء به، انتهزت فرصة نزول الزوج لإحضار بعض الطلبات من الخارج واتصلت بـ «آدم» وأخبرته بكل ما دار وعدها «آدم» بأن يأتي إليها باكرًا في اليوم التالي، أخبرته بما فعلته مع زوجها ورفضها له حاول «آدم» أن يقنعها بفعل

ذلك مع الزوج حتى لا تثير أفكاره أخبرته بأنها لن تسمح لأحد غيره بأن يلمسها بإرادتها تواعدا على اللقاء.

أخذت «مروة» «آدم» من يديه واحتفت به، كانت تتشوق لهذه اللحظة، أخذت تتهل من كل ما تستطيع أن تتهل منه، و«آدم» يغزوها ويفجر داخلها مشاعر ملتهبة وشوقا جارفا، أشعل «آدم» فيها جميع مواطن الرغبة التي دفعتها للارتماء في أحضانه نازعة كل ملابسها بشوق له لم تعهده من قبل، صرخت بين يديه وتأوهت، ورجته أن يكون لها للأبد رجلا تُسلمه كل ما يمكن أن تسلمه امرأة لرجل.

مالتْ على شفتيه تقبلهما بكل عشق لكنها قبل أن تنهي قبلتها انتبهت على صوت الزوج الغاضب مهددًا متوعدًا على باب الغرفة، كان الزوج الذي لم يسافر قد فتح الباب، وتسلل داخلا ليشاهد ما توقعه دائمًا، انتابت الدهشة كلا من «مروة» و«آدم» وقبل أن يتفوَّه أحدهما بكلمة كان الزوج قد طعن «مروة»، عدة طعنات أودت بحياتها فورًا، وتوجه الزوج الجريح ناحية «آدم» ملوحًا بالسكين، لكن «آدم» كان أسرع منه ودفعه إلى الأرض، وانقضَّ عليه مقيدًا حركته، مسددًا له بعض الضربات والطعنات وسط مقاومة من

الزوج الذي خارت قواه فكف عن المقاومة.

همدتْ حركة الزوج تمامًا، تحسَّسَ، «آدم» نبض الزوج فوجده قد فارق الحياة توجه «آدم» ناحية «مروة» فوجدها قد فارقت الحياة، تلفت «آدم» حوله فهاله الجمع الغفير من الجيران الذين جذبتهم أصوات المعركة والذين دخلوا من باب الشقة الذي تركه الزوج مفتوحًا حتى لا يلفت دخوله انتباه من بالشقة.

حاول «آدم» أن يستر نفسه ببعض الملابس، لكن صراخ النسوة الواقفات جمد حركته، وقبل أن ينتبه كانت بعض الأيادي تلفه بما تيسر من أقمشة بينما كانت الشرطة التي حضرت تقوده في الطريق إلى الأسفل، لم يكن ممكنا لأي دفاع أن يبرئ «آدم» الذي كان موجودًا بفراش رجل ومع زوجته ثم قتله.

تم الحكم على «آدم» بالإعدام شنقًا، ومضت لياليه في الزنزانة طويلة في انتظار تنفيذ الحكم، كان ما يُقلقه ويؤرق نومه ابنته «جنى» تلك التي لم تسمح لها جدتها بزيارته ولو مرة واحدة، وفي المرات التي سمح له أن يسأل عن ابنته جاءت الإجابة بأنهم قالوا لها إن أباها قد مات أثناء سفر، ولم يرغب أيّ من الأهل في أن

يترك لها ذكرى أليمة عن والدها.

ارتاح «آدم» لوجود «جنى» بجوار جدتها، وأخذ يعد الليالي ليلة بعد أخرى في انتظار اللحظة التي سيتم فيها تنفيذ الحكم، كانت «مروة» تلوح له في بعض الأيام ثم تختفي من أمامه سريعًا، وفي إحدى الليالي حاول أن يتمسك بصورتها لكنها تبدلت في اللحظة نفسها بذات الريشة التي نظرت إليه وعلى وجهها ابتسامة تشع مرارة حاول «آدم» أن يمسك بالصورة لكنها تحولت لضوءٍ يشع في الفضاء، البعيد اقترب منها حتى يلامسها لكنها صارتْ نجمة تذوب وسط النجوم التي أخذت تتلألأ أمام ناظري «آدم» وكأنها تخايله وحده، بعدها لم يبصر «آدم» أية نجوم.

obeikan.com

obeikan.com

(١٢)

غفوة صغيرة استغرقته، فتح بعدها عينيه ليجد نفسه في مواجهه مع سيارات قادمة في الاتجاه المعاكس أدرك أنه في اللحظة التي غفا فيها قد انحرف عن الطريق ودخل في الطريق الخطأ، أمسك يمين الطريق باحثا عن مخرج من هذا الطريق، وهو يمسك بمقود السيارة نظر يمينه فوجد حاجزا من الأسوار الإسمنتية يمنعه من دخول الطريق الآخر.

تشبث بمِقْود السيارة بكلتا يديه حريصًا على أن يظل ملاصقًا للسور الإسمنتي، أثار عاصفة من التراب في وجه السيارات القادمة التي كانت تتحاشاه في اللحظات الأخيرة بينما هو يضغط بكل قوته على «السارينة»، ويحتضن مِقْود السيارة مثبتًا إيَّاه على مسار محكم بينما السيارات تعبر جواره كأنها طلقات مدوية سيل

من السباب، ينهال عليه من سائقي السيارات العابرة إلى جواره وأضواء السيارات تكاد تعمي بصره.

لمح فتحة صغيرة في الجدار الإسمنتي فانحرف منها وسار مع الطريق، لم يعرف أين هو ذاهب أو ما الذي أتى به إلى هذا الطريق، ولماذا يقود تلك السيارة ولمن هي تلك السيارة، وهو كيف يقودها بتلك المهارة؟ وهو لم يكن لديه سيارة يومًا أو رخصة قيادة بل إنه لا يعرف القيادة أصلا.

وقبل أن يعثر على أية إجابة كانت شاحنة تتجه إليه مسرعة تعلو سارينتها حتى تصم الآذان وضوؤها يحجب الرؤية عنه تماما، تلفت حوله فأدرك أنه يسير بشكل معاكس بعد أن دخل طريقًا مخالفًا آخر، رفع يديه عن مِقود السيارة ليحجب الضوء عن عينيه بينما كانت صرخته تشق الفضاء.

التفت حوله فوجد نفسه مُمدًا على أحد السطوح، وحوله بقايا طعام وشراب شعر بمن يرقبه، تلفت حوله فوجد امرأة منتقبة تنظر إليه، اعتدل في جلسته محاولا تذكر ما الذي جاء به إلى هنا، نظر إلى المرأة التي بدا له جسدها مثيرًا رغم العباءة التي كانت

ترتديها، لكنها تكشف الكثير خاصة مع الضوء الذي ينعكس على العباءة من الخلف، اشتعلت الرغبة في جسده لكنه شعر بها تبتسم في سخرية منه.

عدَّل وضع نفسه على الأريكة، اقتربتْ المرأة منه، سحرته عيناها، وهي تنظر إليه، حاول أن يفهم منها أيَّ شيء فلم يسمع سوى صوت ضحكتها مصحوبة بذلك الشعاع المطل عليه من تحت النقاب، تركته المرأة منصرفة، وقبل أن تبتعد عاودت النظر ناحيته وشعر بابتسامتها الساخرة أو المشفقة لم يمكنه التحديد لكنه يكاد يجزم بأنها ابتسمت أسرع مغادرًا السطوح بعد أن سكب على رأسه بعض الماء.

هرول على السلم وهو لا يكاد يتمالك خطواته، وقبل أن يصل إلى الدور الأرضي استوقفه صوت مناديا إيَّاه:

- «آدم» !

التفت فوجد صاحب الصوت الذي أفهمه أنه كان في طريقه لإيقاظه بعد سهرة الأمس، تلك السهرة التي تناولوا فيها الطعام مع الأصدقاء، وبعد انصرافهم جلسا معًا يدخنان الحشيش حتى

كاد النهار أن يطلع.

اشتكى لصاحبه من الحلم الذي راوده والصداع الذي يكاد يدمر رأسه أخبره صاحبه بأن ذلك تأثير المخدرات، وتوجها لمنزل صاحبه في الدور الأول لتناول الشاي وبعض المسكنات، كانت تلك المرة الأولى التي يدخل فيها منزل صاحبه أعجبه المنزل وذوق صاحبته وأثنى عليها لزوجها، لحظات ووضع الشاي والمسكن أمامهما.

رفع عينيه ليشكر صاحبة المنزل زوجة صديقه لكنه شعر بارتباك، وانعقد لسانه، كانت هي المرأة التي قابلها منذ قليل على السطوح نظر في عينيها جيدًا وشعر بها تبتسم من تحت النقاب، و«خالد» يوضح لها إعجاب «آدم» بذوقها في ترتيب المنزل.

التفتت المرأة خارجة، وشعرت بنظرات «آدم» تحتويها من خلال الملابس وقبل أن تغلق الباب، وجهت نظرة لـ «آدم» شعر معها أنه يكاد يذوب تحت تأثيرها شرب «آدم» الشاي وتناول المسكن، وأخبره «خالد» بأن عليهما الخروج الآن لتنفيذ ما اتفقا عليه بالأمس حاول «آدم» أن يستفهم من «خالد» ولكنه لم يمهله وجذبه

من يده وخرجا مسرعين.

استعاد «آدم» أحداث الليلة الماضية بكل تفاصيلها، وهو راكب إلى جوار «خالد» في السيارة، كانت تلك اللحظة التي عليهما فيها تنفيذ ما اتفقا عليه بالأمس سيقومان معًا بنقل عدد من قطع السلاح من مخزن إلى مكان آخر، تلك كانت المهمة، وسيتقاضيان عنها مبلغا من المال، ذلك المال الذي يحتاجه، «آدم» لسداد إيجار المسكن، والإنفاق منه بعد أن طرده صاحب المصنع الذي يعمل به.

كان «خالد» صديقه هو الذي وثَّق عرى التعارف بينه وبين المجموعة التي تحتاج السلاح هم لم يكن يعنيهم من ينفذ المهم أن العملية تتم وبسرية وفي أمان ويتحمل «خالد» نتائجها كاملة ولأن «خالد» بحاجة لمساعد، و«آدم» بحاجة لنقود، فقد كان هو الخيار الأمثل لـ «خالد» تساءل «آدم» عن مدى الخطورة المتوقعة.

طمأنه «خالد» واتجها إلى المخزن، أخذا حذرهما تمامًا، ونقلا السلاح إلى السيارة، وارتديا ملابس جديدة، وأصبح من يراهما لا يشك بأنهما من عِلية القوم، فتح «خالد» عُلبة معطر الجو في السيارة، وأمسك «آدم» بالموبايل في يده، وانطلقا متجاوزين كلَّ

الكمائن في الطريق حتى وصلا إلى مكان التسليم أتمَّا العمل وتناول «خالد» النقود وأسرعا عائدين.

اقتسم «خالد» النقود مع صديقه وتواعدا على اللقاء، في ذات اليوم أنهى «آدم» متطلباته المالية، واشترى بباقي النقود طعامًا ومخزون للبيت يكفيه عدة أيام كانت تؤرقه فكرة ألا يتحصل على نقود خلال فترة قريبة.

استلقى على الفراش محدقًا في السقف، وهو يفكر في تلك المرأة التي حاصرته بنظراتها هذا الصباح، هو لا يعلم تفاصيل وجهها، لكنه كان شاردًا خلف العينين اللتين تطل منهما الرغبة داعية إيَّاه بتيهٍ ودلالٍ حاول أن يُخمِّن شكلها لكن سعيه خلف العينين أشعل في جسده خدرًا خفيفًا، شرد مع الصورة التي تُخايله بينما النوم يتسلل بكل هدوء وروية إلى جسده.

استيقظ مفزوعًا على دقات عنيفة على الباب، نظر إلى الساعة فوجدها تقارب العاشرة مساءً، أدرك أنه نام لوقت طويل، أسرع بفتح الباب، كان «خالد» يتعجله للنزول.

استقلَّ السيارة مع «خالد» الذي انطلق بها مسرعًا تربطه بـ«خالد»

صداقة منذ عمله في المصنع، فهم من «خالد» أنه طرد من المصنع أيضًا ولم يكن أمام «خالد» سوى هذه المجموعة التي تسهر على سطح المنزل كل ليلة يحضر لهم «خالد» طلبات السهرة وعن طريقهم ينفذ بعض المهام التي توفر له نقودًا يستطيع الصرف منها ولأن «خالد» يعلم ظروف، «آدم» المادية فقد كان من الطبيعي أن يستعين به ليساعده في تنفيذ تلك المهام، لم ينشغل «آدم» بما قاله «خالد» فقد كان مشغولا بصاحبة العينين التي استغرقت أحلامه منذ قليل لم ينتبه إلا حين قال له «خالد»:

«فاتن» حدثتني عنك،قالت إنها تعرفك وإنك سبق أن قدمت خدمات لها في مرحلة دراستها كانت دهشتها شديدة حين علمت بصداقتنا قالت إنها لم تتصور أن تجدك نائمًا هكذا على سطح المنزل.

شرد مع كلام «خالد» .. «فاتن»؟ من هي «فاتن»؟ وأين عرفها ؟ وما هو شكلها؟ في فترة سابقة من حياته كان يساعد كثيرًا من الفتية والفتيات في المذاكرة والدروس، كان ذلك يوفر له بعض المال، لكن أيُّهم هي صاحبة العيون التي تخايله؟ لم يجد إجابة على تساؤلاته حتى وقف «خالد» بسيارته أمام المنزل، ترجلا من

السيارة وعند مروره بباب شقة «خالد» شعر بقدميه يلتفان حول بعضهما وارتبكت خطواته حاول أن يتمالك نفسه وتظاهر بمروره بنوبة سعال، استند على «خالد»، وصعد معه إلى سطح المنزل.

أخذ يتأمل الوجوه حوله بعضهم يرتدي أحدث الملابس، والبعض الآخر يطلق لحيته، لكنهم جميعا يتشاركون في الثراء الظاهر عليهم، لحظات وكانت الموائد قد أُعدت وُوضع عليها أفخر أنواع الطعام والشراب، أخذ الجميع يأكلون بنهم وشراهة، وهو يتأملهم من طرف عينيه انتهى الطعام، وقام أحدهم ليشكر صاحب الوليمة.

وفهم «آدم» أن الوليمة يقيمها كل يوم شخص مختلف، ويكون تحديده بناء على ما ربحه في ذات اليوم، جميعهم يعملون بالتجارة، مابين العملة والمخدرات والسلاح والأغذية منتهية الصلاحية والمنشطات الجنسية ، وكل ما من شأنه أن ينتج أرباحا سريعة، وصاحب أكبر نصيب من الربح هو الذي يتولى إقامة الوليمة.

تظاهر «آدم» بتناول الطعام وهو يرقب حواراتهم، أدرك «آدم» أن المظهر الذي يتخذه بعضهم كمتدين ما هو إلا ستار يخفي خلفه

طبيعة نشاطه، مثله في ذلك مثل الذي يتخذ من الزي العصري والسيارة الفارهة ستارًا أيضًا، أدرك «آدم» أن هذه الجلسات هي التي يتم خلالها ترتيب الصفقات بينهم.

وتابع حواراتهم وكأنه مشغول عنهم، وفهم أن هناك عمل تم تكليف «خالد» به انتابته سعادة من نوع ما، فمعنى ذلك أنه سيشارك مع «خالد» وسيحصل على نصيب من المال، غادر الجميع بعد أن رتَّبوا أوضاعهم، وقرر «خالد» أن يستكملا السهرة في المنزل فبالنسبة له «آدم» لم يعد غريبًا عن أهل المنزل.

obeikan.com

obeikan.com

(١٣)

أعدت «فاتن» المشروبات، وأخذ «خالد» يشرح له طبيعة المهمة القادمة، لم يفكر فيما قاله «خالد» فقد شغلته «فاتن» خاصة حين تناولت الموبايل الخاص به وأخذت تعبث بمحتوياته أنهى «خالد» كلامه، وأوصله إلى منزله على أن يلتقيا في اليوم التالي ليرتبا ما سيفعلانه.

أمسك بالموبايل بعد أن أغلق باب شقته خلفه ليرى ماذا فعلت به «فاتن» وجدها قد كتبت له رقمها ورسالة تطلب منه فيه محادثتها في موعد معين، انتظر «آدم» حتى الموعد الذي حددته له «فاتن» اتصل بها ووجد أنها تحادثه كما لو كانت تعيش معه قصة حب منذ زمن طويل، حاول أن يتذكر ملامحها، وألحَّ عليها أكثر من مرة كي تذكره لكنها كانت تراوغه بحكايات متتابعة ودلال طفولي.

حاول أن يكسر الحاجز بينه وبينها، فوجدها تطلب منه اللقاء في شقتها، انتابته الدهشة، طمأنته بأن «خالد» غير موجود حاليا، ولن يعود قبل ساعات، أسرع إليها ملبيا دعوتها، صعد السلم مسرعًا، وقف أمام الباب يلتقط أنفاسه، رفع يده ليدق الجرس في اللحظة نفسها التي انفتح فيها باب الشقة تسارعت أنفاسه في نفس اللحظة التي جذبته يد إلى داخل الشقة وأغلقت الباب خلفه نظر لصاحبة اليد التي جذبته كانت كتلة من الجمال الواقف على قدمين نظر إلى عينيها باحثًا عن تلك العيون التي خايلته من خلف النقاب فوجد جمال الوجه يطغى على جمال العينين.

تسمرت أقدامه فجذبته نحوها واحتضنته، ارتبك ولم يعرف ماذا يفعل؟ كانت غريزتها الأنثوية قد علمتها أن الرجل يهاب المرأة التي تبادر بالهجوم، شعرت بارتباكه فوضعت رأسه على كتفها وهي تدلك له ظهره جذبته من يده وأجلسته إلى جوارها، ازداد ارتباكه لما وضعت يدها على شعره، ضحكت ضحكة ساخرة وضمته من جديد إلى صدرها حاول أن يتمالك نفسه لكن هيهات فلقد كانت هي البادئة المبادرة، وكان عليه أن يستجيب لإرادتها التي فرضتها عليه.

دارت برأسه الأفكار متسارعة، كانت خشيته الأكبر أن يعرف «خالد» ما دار بينهما لحظات، وكان «خالد» يطلبه على الموبايل، اعتذر له مسرعًا عن عدم وجوده طوال هذا اليوم، وأخبره أن «فاتن» أخبرته إنه سأل عنه في المنزل وأنهى «خالد» المكالمة سريعًا على أمل أن يلتقيا بعد أن يعود من سفرة الغد ازدادت حيرته، ماذا قالت «فاتن» لـ«خالد»، وما الذي حكته، وما الذي تحفظت عليه، آلاف من الأسئلة عبرت متداخلة في رأسه لكنه لم يجد لها إجابة.

استيقظ في الصباح الباكر فزعًا على رنين الموبايل، التقطه فوجد رقم «فاتن» أسرع بالرد فوجدها تضحك كعادتها، سألها عما قالته لـ«خالد»، فأوضحت أنها أخبرته عن قدوم «آدم» للسؤال عنه، وأنه لم يجده بالمنزل، وعندما رغب بالحصول على تفصيلات أكثر علت ضحكتها واعدة إياه أن تجيب أسئلته حال قدومه إلى المنزل.

حزم أمره وتوجه إليها مقررًا عدم تركها تلهو به، لكنه ما إن وصل إلى الشقة ودلف منها إلى الداخل حتى كان كالدمية بين يديها تحركها أنَّى شاءت، أدهشته حين أخبرته أن لكل علاقة قائد، وقد قررت هي أن تكون القائد في هذه العلاقة توجهها الوجهة التي تريد وتنهل منها ما تريد، وقد كان لها ما أرادت، فوهب لها مستسلمًا كل

ما أرادت بل إنه أبحر معها في بحار ربما لم تخطر على بالها من قبل كان هدفها المتعة الخالصة وقد حقق لها كل المتعة، استمرت لقاءاتها متتابعة منتهزين سفر «خالد» الدائم.

كانت أمور عدة تؤرقه مَن هذه الفتاة التي كبرت وأصبحت سيدة؟ لا يذكر ملامحها مطلقا، وكلما حاول أن يفتح معها تلك السيرة كانت تذهب به إلى آفاق جديدة من المتعة الحسية التي لم يقدر أبدًا على رفضها، وكلما حاول أن ينبهها لخطورة ما يفعلان لا يجد لديها سوى الضحكة الماجنة التي تزيد رغبته فيها فيندفع أكثر فأكثر كانت هي القائد كما قالت، وكان هو المَقُود.

أنجز خلال تلك الفترة بعض العمليات مع «خالد»، وحصل على بعض الأموال، لم تكن عمليات ذات خطورة مثل تلك التي نقلا خلالها السلاح، كانا ينقلان بعض الحبوب المخدرة كالترامادول والمنشطات الجنسية، لكن «خالد» عرض عليه العملية الجديدة وما تحتويه من خطورة عليهما أفهمه أنهما سيقومان بنقل بعض الذخائر والأسلحة من منطقة معينة، شعر «آدم» بالخطر يُحيط به لمعرفته بخطورة المكان الذي حدده «خالد».

عرض الأمر على «فاتن» علها تجد له مخرجًا، رفضتْ مشاركته في هذه العملية، هددته صراحة بكشف علاقتها به أمام «خالد» كانت تسعى للاحتفاظ به جوارها بكل وسيلة ممكنة أفهمها حاجته للنقود، عرضت عليه النقود مقابل التخلي عن العملية أخبرها بأن ذلك سيدفع «خالد» للشك فيه، هددته بكشف العلاقة في المساء عرض عليه «خالد» الخطة كاملة، وأخبره بالموعد المتفق عليه، حادثته بالموبايل وأخبرته أن يختفي حتى تنتهي هذه العملية.

أخبرته بأن يتوجه إلى أيِّ فندق ويبيت ليلته هناك، بحث «خالد» عنه كثيرًا وفشل في الوصول إليه اضطرَّ إلى تنفيذ العملية مستعينًا بأحد الأفراد الذين لا يثق بهم تمامًا، أبلغ «خالد» أصدقاءه بكل التطورات، وتوجهت السيارة لنقل البضاعة كما هو متفق عليه لم يكن ممكنا تأجيل التنفيذ.

وفي اللحظة التي استقرت فيها البضاعة داخل السيارة، كان رجال الأمن يحيطون بالسيارة من كافة الاتجاهات، ألقي القبض على «خالد» ومساعده، وبدأت إجراءات التحقيق، أحضر أصدقاء «خالد» له المحامين، وعن طريق المحامين أبلغهم «خالد» بشكوكه في «آدم»، فهو يعرف المكان والزمان، صارت تصفية «آدم» انتقامًا

منه واجبا محتما عليهم جميعًا أدرك «آدم» أنهم بدؤوا في مراقبته.

عرضت عليه «فاتن» الاختباء في شقتها مؤقتا حتى يمكن له تدبير أموره، استجاب «آدم» ، وتناثرت الأقاويل حول زوجة «خالد» حتى وصلت إليه، أوصى زملاءه بمراقبة شقته لمعرفة من يتردد عليها في غيابه، شعرت «فاتن» بمن يراقب الشقة خافت على «آدم» أن يكونوا قد توصلوا لمكانه أخذت «آدم» في يدها وخرجا من الشقة بعد أن ارتدى النقاب مثلها.

كانت قد قررت أن تهجر المدينة وتتجه إلى مدينة أخرى تستقر بها، استمرت عيون المراقبين معها حتى ركبت القطار، وتم تحديد الوجهة وتحديد شخصية الراكب معها، أوصى «خالد» زملاءه بضرورة تصفية «آدم» بأيِّ شكل في البلدة الجديدة حاول «آدم» أن يفتتح مشروعًا تجاريًا صغيرًا بالمال الذي بحوزة «فاتن»، عاش معها أيامًا تُحسب من حياته بعد أن ظن أنه نجا من المطاردات لكنه استفاق عندما شعر بمَن يراقبه فأسرع بالهرب.

طارده الرجل على دراجة بخارية، استطاع الوصول إلى الشقة طرق الباب مسرعا لينبه «فاتن»، فتحت الباب في اللحظة نفسها

التي أطلقت فيها رصاصات أسقطته أرضا أسرعت «فاتن» تحتويه بين يديها قبل أن يسقط على الأرض.

نظر في عينيها كانت ترتدي النقاب، وكانت تلك العيون التي شرد خلفها طويلاً هي التي ترقبه الآن، نظر إليها مُطولاً مُحاولاً أن يتبين الهوى في تلك العيون لكنها كانت مليئة بالدموع الحبيسة وبالذعر والخوف عليه، حاول أن يطمئنها لكنه وجد ذات الريشة تطل عليه بنظرة مشفقة من خلف النقاب، رفع رأسه ليفهم فهاجمته نوبة صداع ودوار، وشعر بجسده خفيفًا محمولا؛ وكأنه يطير في الهواء.

obeikan.com

obeikan.com

(١٤)

كان المسرح بالنسبة إليه حياة، حياة كاملة تهون في سبيلها حياته نفسها، لم يكن يتخيل نفسه بعيدًا عن خشبة المسرح، يعشق المناظر والأضـواء والديكورات رائحة الطلاء الحديثة تبهجه، وكذلك رائحة الماكياج، هجر من أجله الأهل والأصدقاء، والتحق بإحدى الفرق الجوالة، لكن الفرقة نفسها سرعان ما تفككت بفعل ظروف إنتاجية، فعاد ثانية إلى المدينة وحاول أن يلتحق بإحدى الفرق المسرحية الجديدة.

جرب عدة أدوار صغيرة لكنه لم يحظَ بالقبول من مخرج الفرقة، كانت عيناه دائما معلقة ببطلة الفرقة «أميرة»، يعشق طريقتها في الأداء وتقمصها للشخصيات، ويشعر ناحيتها بعاطفة جياشة لا يستطيع أن يعبر عنها لنجمة تملك قلوب مشاهديها ، ويتمنى منها

الجميع نظرة رضًا.

حين أخبره مدير المسرح بعدم صلاحيته دارت به الأرض، وشعر بأنه ينخلع من جذوره ، توسل وبكى لكن ما من مجيب وقف على باب المسرح الخارجي منتظرا لحظة خروج النجمة، وما أن رآها حتى ارتمى تحت قدميها عارضًا عليها أن تعيده للعمل.

وافقت على أن يعود للعمل في الفرقة، ولكن كمساعد لها كان ذلك بالنسبة إليه طوق النجاة سيكون بالقرب من «أميرة»، وبالقرب من المسرح، ربما واتته الفرصة بعد ذلك لكنه يومًا بعد يوم اكتشف أن حياته تتمحور حول «أميرة» التي أصبح هو بالنسبة لها المساعد والحارس ومدير الأعمال والمسئول عن كل تفاصيل عملها.

كان ذلك بالنسبة له كافيًا، فلم يبتعد عن المسرح الذي يعشقه، وفي الوقت نفسه لم يبتعد عن «أميرة»، انهمك في عمله بكل تفانٍ، وهو يراقب «أميرة» ويرعى صغيرتها «نوارة» فترات وجود «أميرة» على المسرح في الفترة الأخيرة شعر بأن تغيرًا ما سيحدث، لكنه لم يُحدد طبيعة هذا التغير.

أنهت «أميرة» جملتها الأخيرة وأُسدل ستار المسرح، التهبت الأكف

بالتصفيق وفتحت الستار لتجد «أميرة» أن عاصفة التصفيق قد ازدادت بمجرد ظهورها على خشبة المسرح، حاولت أن تبتسم في مواجهة عاصفة التصفيق لكنها وجدت المشاهدين قد وقفوا وسط التصفيق الذي أخذ يتزايد .

حبست «أميرة» دموعًا كادت أن تنهمر رغمًا عنها، ابتسمت ابتسامة رضًا، وهي تنظر لهذه التحية من جمهورها الذي كانت تودعه بهذا الأداء تلك الليلة كانت «أميرة» تعشق هذه اللحظة التي يصفق لها فيها جمهورها.

تبذل جهدًا خرافيًا في دراسة كل شخصية تؤديها، تتوحد أحيانا مع شخصيتها المسرحية لتقدم لجمهورها فنا يصدقونه فينالها التصفيق كانت تلك أسعد لحظات حياتها كما كانت تردد دائمًا، لكنها قررت أن تنسحب بعد أن هزمتها مشاعرها أحبت «مصطفى» بكل ما تملكه المرأة من مشاعر.

كانت قبله قد وهبت حياتها للمسرح ولصغيرتها «نوارة» لكن دخول «مصطفى» في حياتها غير تلك القناعات أشعرها أنها مازالت امـرأة محبوبة، وحـرك المشاعر التي كبتتها داخلها عقب فشل

زواجها الأول.

عاشت سنواتها تهب «نوارة» الحب، وتهب المسرح المشاعر التي تستدعيها من مخزون الذكريات، وتنال التصفيق الحاد في نهاية كل ليلة عرض، لكن الحسابات اختلفت مع ظهور «مصطفى» فكان قرارها بالانسحاب من المسرح لتلحق بـ «مصطفى» زوجة في بلاد لم تزرها من قبل.

رتبت «أميرة» ظروفها كاملة، فعهدت بابنتها «نوارة» إلى الرجل الذي كان يساعدها في المسرح يرتب لها ملابسها، ويُشرف على غرفتها، ويمنع الصحفيين من مضايقتها، يوقظها في الموعد الذي تريد ويسبقها إلى المسرح يُعد لها فنجان القهوة الذي تعشقه من يديه ويتركها حارسًا على باب الغرفة تراجع دورها في كل ليلة.

عقب طلاق «أميرة» لم تكن تأمن لوجود «نوارة» مع أحد سوى هذا الحارس تتركها معه أثناء البروفات والعروض، وكانت «نوارة» تشعر بالسعادة والفرحة التي كانت «أميرة» تلحظها في عيون «نوارة»؛ لهذا كان قرارها بترك «نوارة» معه والسفر مع «مصطفى».

عاشت «نـوارة» سنواتها الأولـى مع حارسها محاطة بالعناية

obeikan.com

والرعاية والحنان، نفس السنوات التي قضتها «أميرة» متنقلة من بلدة إلى أخرى بصحبة «مصطفى» الذي يدللها ويعاملها كملكة متوجةٍ، كانت خطابات «أميرة» إلى «نوارة» تحكي كل تفاصيل الحياة، تشرح في الخطابات التي ترسلها الرحلات التي تقوم بها والسعادة التي تشعر بها، ويقوم الحارس بقراءة الخطابات لـ «نوارة» التي كانت تهتم كثيرا بما ترسله والدتها من هدايا ولعب وفساتين جديدة.

توالت الخطابات على الحارس ومعها الهدايا لـ «نوارة» حتى كان الخطاب الأخير لم يكن الخطاب موجها لـ«نوارة» كان خطابًا موجها للحارس أخبرته خلاله عن خلافات دبت بينها وبين «مصطفى»، وازدادت الخلافات عندما وقع «مصطفى» في أزمة مالية طاحنة أودت به إلى الإفلاس، عرض «مصطفى» على «أميرة» أن تساعده بمدخراتها من سابق عملها بالمسرح، لكن «أميرة» خافت من المخاطرة بأموالها خاصة وهي تعتبر هذه الأموال هي سند «نوارة» في قابل الأيام.

ازدادت حالة «مصطفى» سوءًا، وأصبحت العلاقة بينها وبينه دائمة التوتر والشجار يسعى دائما للحصول على ما لديها من

أموال الأمر الذي دفعها لأن تكتب كل أموالها باسم ابنتها لا يجوز لأحد التصرف فيها، ساورتها شكوك متعددة وأوضحت أنها تركت ما يفيد أيلولة الأموال لـ«نوارة» في الخطاب، لكنها باتت تخشى على حياتها وتخشى أن تؤل الولاية على «نوارة» إلى «مصطفى» بوصفه زوجها مع عدم وجود أي أقارب لها على قيد الحياة، وأوصت في نهاية الخطاب بضرورة إبعاد «نوارة» عن «مصطفى» لو حدث لها أي مكروه.

في الصباح التالي كانت صورة «أميرة» تتصدر الصحف بعد أن وجدوها مقتولة في غرفة بأحد الفنادق بالعاصمة الفرنسية، كانت الصورة قد اكتملت في ذهن الحارس، أسرع إلى المنزل، وجمع ما تيسر له من الثياب والأوراق، أخذ «نوارة» في يده وأسرع مغادرًا بعد أن قرر أن ينفذ وصية «أميرة» كاملة، لم يكن قد قرر بعد إلى أين يذهب ثم اتخذ قرارًا أن يذهب إلى مكان لا يمكن لأحد العثور عليه فيه.

(١٥)

تذكر أنَّ له صديقا يعيش في إحدى «المراحات» في البحيرة هاربًا من تنفيذ حكم بالإعدام، توجه إليه، وقد استقر قراره على أن يقيم في «المراحات» وسط البحيرة، استقبله الصديق بالترحاب، وسأله عن الطفلة الصغيرة فأخبره بأنها ابنته، وأفهم الصديق أن زوجته توفيت وأن أهلها يشكُّون أنه السبب في وفاتها.

ولهذا عليه أن يتوارى عن الأنظار حتى يوفِّر الأمان لطفلته، لم يجد الصديق صعوبة في استيعاب ما سمع في الوقت نفسه الذي لا ينشغل فيه سكان «المراحات» بأمر أيّ غريب طالما كان معروفا لدى أحدهم مما يعني أنه ليس من رجال الشرطة.

وفر له الصديق كل أسباب الراحة في الأيام الأولى لكنه بعد فترة من الوقت قرر أن ينتقل بـ «نوارة» إلى إحدى «المراحات» المجاورة

كان هدفه أن يوفر لها أكبر قدر من الأمان وفي الوقت نفسه حتى يبعدها عن سكان تلك البقعة داخل البحيرة، وبالفعل عثر على «مـراح» مهجور لا يقيم به أحد، على الفور قام بإنشاء عشة من البوص، وأزال من حول العشة الأعشاب النابتة حتى يمكن له رؤية البحيرة من داخل العشة.

فرش العشة بما استطاع توفيره من أثاث ملائم، وأخذت الأيام تتوالى والصغيرة تلهو ببراءة أمام العشة في الساحة التي نظفها واعتنى بها أو في مياه البحيرة يعمل هو في النهار في صيد الأسـماك، يوفر منها مايحتاجانه للطعام ويبيع الباقي ليوفر للصغيرة ما تحتاجه من مستلزمات. سنوات تمر متتابعة غادرت فيها طفلة السنوات الأربع طفولتها وبلغت أوائل الصبا، لكنها مازالت تتصرف ببراءة الأطفال، وحبهم للحياة، وهو يتابع نموها أمامه ليلة بعد ليلة، ويوما بعد يوم.

يأخذ القارب و«نـوارة» معه ويسير بالقارب حتى يصل إلى تحت الكوبري، ومن هناك يستقل السيارة ربع النقل، ويتجه بها لأقرب مدينة تنتظره «نوارة» دائما في السيارة بينما يحضر لها ما تشاء

من المحلات أحيانا نادرة كانت تلك التي يأخذ فيها «نوارة» معه إلى داخل المحل، حين يتعلق الأمر بقياس معين لملابس أو لإحضار مستلزمات أنثوية كانت البائعات تساعدنه خاصة و«نوارة» تخطف القلوب بابتسامتها ورقتها.

يضع الحاجيات في صندوق السيارة، وتنتظره «نوارة» بينما هو يتلصص على أخبار «مصطفى» خاصة بعد أن عرف من بعض أصدقائه أن «مصطفى» قد عاد إلى البلاد من فترة ويسأل كل من يعرفهم عنه في محاولة للوصول إلى مكان «نوارة» خاطبه صديق:

-«مصطفى» لن يكف عن البحث عنك له معارف وأصدقاء في كل مكان وسيصل إليك حتما.

-لا يعنيني أن يصل إلي المهم عندي أن لا يصل إلى «نوارة» قبل أن تبلغ الحادية والعشرين.

-مازال أمامك أربع سنوات، وهي فترة زمنية طويلة قد تقع أثناءها في يده.

-قلت لك لا يهمني نفسي المهم عندي «نوارة».

-لقد حذرتك يا «آدم» وجب عليك أن تنتبه.

إبتسم «آدم» لصديقه وربت على كتفيه، فهم الصديق المغزى وهم بأن ينطق لكن «آدم» قاطعه:

-أعلم أنك لن تفعل لكن الحذر واجب.

وانصرف «آدم» تاركا صديقه بعد أن عرف ما كان يسعى لمعرفته، عاد بالسيارة إلى المكان المحدد، ترك السيارة وساعدته «نوارة» في نقل الحاجيات إلى القارب، واتجه معها إلى المراح ، أفرغا الأشياء من المركب.

وكأي شابة ناضجة قامت «نوارة» بترتيب كل شيء في مكانه، بينما تركها هو وجلس يراقب سطح البحيرة الهادئ الممتد أمامه إلى ما لا نهاية، سطح البحيرة تحركه بعض النسمات الرقيقة الموحية بقرب هبوب عاصفة هوائية، لكن القمر المكتمل الذي يسطع بنوره على سطح البحيرة يؤكد أن السماء صافية خالية من الغيوم.

شعر «آدم» برجفة خفيفة، حاول تدليك جسده بيديه ليبعث في جسده بعض الدفء لكنه سرعان ما التفت إلى العشة، كان الضوء الخافت ينبعث من الداخل دلالة على أن «نوارة» قد استسلمت للنوم.

عاود النظر إلى البحيرة ضوء القمر يسطع على سطح البحيرة

ويتجمع، حدق للحظة فوجد ذات الريشة طافية على سطح المياه وعلى وجهها ابتسامة شفقة أخذ خطوة إلى الأمام في اتجاه البحيرة لكن ذات الريشة اختفت في ذات اللحظة، جال ببصره في كل الاتجاهات بحثا عمن كانت تطفو فوق مياه البحيرة، لم يجد سوى المياه الممتدة بطول البصر وعرض البحيرة.

فرك عينيه بكفيه وعاود النظر إلى مياه البحيرة كانت أشعة القمر قد بدأت بالتكسر على مياه البحيرة بفعل رياح خفيفة أخذت في الاقتراب محركة المياه في موجات خفيفة جمع «آدم» أدواته وغادر موقعه وتوجه إلى العشة.

استلقى على الفراش إلى جوار «نوارة»، وقد حرص على ألا يصدر أية حركة من شأنها أن توقظها رفع بصره إلى السقف وتأمل ما مضى من حياته تلك التي وهبها لـ«نوارة» حفاظًا على حبٍّ قديم تملك قلبه وعقله ناحية «أميرة» لكنه لم يتمكن أبدًا من التصريح به، كان يكفيه أن يكون بقربها ومكمن سرها، استغرقته الأفكار حتى وجد نفسه يشعر بخدر يتملك أطرافه فأستسلم له وراح في سبات عميق.

obeikan.com

(١٦)

استيقظ على حركة بالقرب من العشة، اعتدل فلم يجد «نوارة» بجواره نظر إلى الخارج فوجدها ملاكًا أبيض خارجًا من مياه البحيرة يتهادى برقة في خطواته، حدَّق النظر فوجدها «نوارة» خارجة من مياه البحيرة تتساقط قطرات الماء من شعرها وينعكس ضوء القمر على جسدها مُشكلاً هالةً من الضياء لا يشوبها سوى زغب كثيف تحت بطنها وبين ساقيها، عدا ذلك كان جسدها مرمريًّا يتلألأ في الضوء وقد وضحت معالمها الأنثوية تمامًا.

اقتربت «نوارة» من العشة فسكنت حركته تمامًا، خشي أن تلحظ أنه استيقظ، وكانت تلك عادتها في نزول مياه البحيرة تستيقظ قبل الفجر وتنزل إلى البحيرة، وقد حرصت على هذه العادة منذ فترة من الوقت، كان «آدم» يعلم ذلك عندما يستيقظ صباحًا،

وتطلب منه أن يُمشط لها شعرها، لكنه لم يسبق له أن شاهدها من قبل كانت هي حريصة دائمًا، ولهذا خشي أن تلمحه فتظاهر بالنوم لحظات وكانت هناك حركة داخل العشة.

خمن أنها ارتدت ملابسها، ودخلت لكنه استمرَّ في التظاهر بالنوم لحظات وشعر بها تستلقي على السرير بجواره، طافت بذهنه آلاف الأفكار لكنه كان يطردها سريعًا، شعر بهزة في الفراش فأدرك أن «نوارة» قد انتابتها قشعريرة، اقتربتْ منه ولصقت جسدها في جسده تلتمس منه بعض دفء، اشتعلت في رأسه الأفكار التي انتقلتْ بدورها إلى جسده الذي ازداد حرارة، شعرت «نوارة» بحرارة تنبعث منه فألصقت ظهرها بجسده .

كتم أنفاسه حتى لا تشعر بيقظته، سرت الحرارة إلى جسد «نوارة» فسكنت حركتها واستسلمت لنوم عميق شعر بها وقد استكانت، وهدأت أنفاسها، جاهد نفسه كثيرًا حتى هدأت أعصابه المتوترة، وظل محدقًا بعينيه نحو سقف العشة، لم يدرِ ماذا حدث له، لكنه استيقظ على صوت «نوارة» تدعوه للإفطار وتسخر من نومه كل هذا الوقت الطويل.

اتجه إلى الماء ليغسل وجهه بينما كانت «نوارة» تجلجل بضحكتها في العشة، وهي تؤكد له أن النوم الكثير دلالة على كبر السن والعجز، ازدادت حيرة «آدم» وهو يفكر، هل شعرت به «نوارة» في الليلة الماضية؟ أتراها تراوده عن نفسه؟ أم أنها تسخر منه ومن ترددِه؟ آلاف من الأسئلة جالت بخاطره للحظة لكنه نحَّاها كلها جانبًا وهو يترك الماء البارد ينهمر فوق رأسه ليبعد هذه الأفكار عنه.

تناول طعام الإفطار مسرعًا واتجه مسرعًا إلى شِباك الصيد التي فردها فوق البحيرة بالأمس، وجعل منها دائرة باتساع البحيرة أمامه بينما أطرافها السفلية مشدودة إلى أسفل بفعل بعض قطع الرصاص المثبتة بها، جذب طرف الحبل الممدود فأخذت الدائرة تضيق وتقترب منه، وأخذت الأسماك المحبوسة داخل الشباك تتراقص محاولة الإفلات لكنه أخذ يجذب الحبل بسرعة ومهارة .

تراقصت «نوارة» بفرح طفولي، وهي ترى الأسماك الكثيرة تحاول القفز خارج الشباك، أنهى «آدم» المهمة بمهارة فائقة، نظر إلى «نوارة»، كان الفرح الطفولي مرسومًا على وجهها على هيئة ابتسامة كبيرة، لامَ نفسه على تلك الأفكار التي جالت بخاطره ليلاً، وعلى

تلك النزعة البهيمية التي كادت تتملك منه، وضع «آدم» جانبًا من السمك بين يدي «نوارة»، وحمل الباقي في المركب واتجه به إلى حيث يبيعه، توالت الأيام على هذا النحو.

شعر «آدم» باقتراب «مصطفى» منه، حذره الأصدقاء كثيرًا، لكنه كان يعلم أن «مصطفى» ليس بمقدوره الوصول إليه، هنا أنهى «آدم» المهمة بنجاح وحصل على النقود، وفي طريق العودة عرَّج على المدينة واشترى نوعًا من الحلوى تُحبه «نوارة»، صحيح أنه غالي الثمن لكن لا مانع اليوم من هذا الاستثناء.

عاد مسرعًا إلى «المراح»، لم يجد «نوارة» بانتظاره على الشاطئ كعادتها، خمن أنها لا بد تطبخ جانبًا من السمك الذي تركه لها، حين اقترب من الشاطئ فوجئ بباب العشة يفتح ويخرج منه «مصطفى»، وهو يقبض على «نوارة»، أفهمه «مصطفى» أنه لا يريد إلحاق الضرر بأي فرد، لكن على «آدم» أن يدله على الأوراق التي تحتوي على ميراث «نوارة».

حاولت «نوارة» الاستنجاد بـ «آدم»، أسكتها «مصطفى» بضربة على مؤخرة الرأس فتمددت على الأرض، رفع «مصطفى» سلاحه

مهددا «آدم»، تمالك «آدم» نفسه وحاول أن يجاري مصطفي ويحادثه، اقترب منه «مصطفى»، أوضح «آدم» أن الأوراق موجودة في المركب، أشار إليه «مصطفى» بإحضارها.

بحث «آدم» في قاع المركب، و«مصطفى» ينظر إليه مراقبًا، نظر «آدم» ناحية «نوارة» التي كانت ملقاة على الأرض وقد بدأت تتفاوق، التفت «مصطفى» ناحية «نوارة» في ذات اللحظة التي رفع فيها «مصطفى» مجداف المركب وهوى به على يد «مصطفى» مطوحًا بالمسدس في الهواء، اشتبك مع «مصطفى» في معركة بالأيدي دانت له فيها الغلبة أسرع «مصطفى» محاولا الوصول إلى المسدس لكن «آدم» كان أسرع منه.

أمسك المسدس مهددا «مصطفى» الذي أمسك بدوره بمجداف المركب وهوى به ناحيته، تفادى الضربة وأطلق طلقة أسقطت «مصطفى» أرضًا، تملكه الغضب واتجه ناحية «مصطفى» وأفرغ الرصاصات في رأسه، سكنت حركة «مصطفى» تمامًا وتأكد من موته، أسرع ناحية «نوارة» وحملها سريعًا إلى الداخل، استفاقت فأفهمها ما حدث سريعًا، وأعطاها كلَّ الأوراق التي تثبت ميراثها وحقها.

قبل أن تنطق «نوارة» كانت شرطة المسطحات المائية التي كان صوت الطلقات جاذبًا لها وللعديد من سكان «المراحات» المجاورة قد وصلت إلى المكان وقبل أن يتمكن «آدم» من الهرب كان قد ألقي القبض عليه وعلى «نوارة»، وفي التحقيقات تم إطلاق سراح «نوارة»، ووجد «آدم» نفسه مُدانًا في جريمة قتل، كان ما يشغله في هذا الوقت الاطمئنان على «نوارة» وترتيب أمور حياتها بعد أن أصبحت وحيدة تمامًا، كانت الليالي تمر سريعا.

وعرضت «نوارة» عليه الاستعانة بمحام يمكنه إخراجه من هذه الورطة، لكنه لم يكن يفكر في نفسه قدر تفكيره في الحال التي ستصير عليها «نوارة»، كان يتخيلها كل ليلة عروسًا جميلة لعريس لم يستطع تحديد ملامحه، اقترب منها مقبلا إياها على جبينها، نظر في عينيها فوجد «أميرة» تنظر إليه، شعر برجفة تنتابه حاول أن يشرح لها ما حدث فوجد ذات الريشة تربت على يده برقة وابتسامة الأسى لا تفارق ثغرها، حاول أن يقترب منها أكثر فازدادت موسيقى الفرح وملأت الأجواء.

أرهف سمعه لأصوات الموسيقى فوجد أن آلة الهارب أكثرها صدوحًا، تلفت حوله فوجد عازفات الهارب بملابسهن التي يعرفها

يعزفن برقة وعذوبة، تأمل العازفات بُرهة فوجد البخور طيب الرائحة يملأ المكان حوله، حاول أن يتأمل الوجوه سمع صوتًا رخيما كأنه آتٍ من بُعد سحيق، حاول أن يتنصت لما يقوله صاحب الصوت لم يستطع أن يفسر سوى جملة واحدة ظلت تتردد وكأنها تتابع صداها في الكون الممتد إلى ما لا نهاية.

-البدايات المتشابهة ستجلب نهايات متشابهة، قد تختلف التفاصيل قليلا لكنها حتمًا ستؤدي إلى النتيجة نفسها.

حاول تحديد مصدر الصوت لكنه فشل، حاول التعرف على الوجوه المحيطة به، عبرت أمام عينيه ذات الريشة لكنها اختفت خلف مصدر مُشع للضوء.

نظر أمامه فوجد أضواء المسرح تخلب لبه وتحول بينه وبين رؤية الجالسين في صالة العرض المسرحي أخيرًا يقف على المسرح محققا حلما طال انتظاره سوف يكون أداؤه الليلة مختلفًا ومبدعًا ، هكذا حدَّث نفسه ، أرهف سمعه وخمن أن جمهورًا كبيرًا حضر الليلة، أخذ يتذكر جمل الحوار، أُدير على أحد الأجناب «بروجيكتور» أحمر، تداخل الضوء الأحمر مع باقي الأضواء، اقترب من الأضواء

التي ازدادت تألقا وإشعاعا، حاول أن يعبر ببصره من خلال الضوء، لكن الضوء أخذ يشتد ويبرق حتى حِيل بينه وبين رؤية أي شيء آخر.

obeikan.com

(١٧)

في الموعد المحدد لتنفيذ الحكم بالإعدام وقف الجميع ينتظرون تلك اللحظة، بينما كان يقوم كل فرد بدوره المنوط به في هذه العملية، على البعد وقف الجندي «عبد الغفار» والذي كان حارسًا لزنزانة «آدم الغرباوي» متأملا ما يحدث، غير مصدق أن هذا الذي كان يحادثه على فترات سيغادر دنيانا بعد قليل.

أتم الشيخ تلقين «آدم» الشهادة وتمتم «آدم» بكلمات لم يسمعها أحد بينما عيناه تجولان في الأفق شاردتين باحثتين عن ذات الريشة تلك التي كانت تؤنس لحظاته في أوقات أخرى، وضع «آدم» يديه خلف ظهره بينما أنهى «عشماوي» وضع الطاقية السوداء المحيطة برأسه وأحكم الحبل حول رقبة «آدم» صدر الأمر بالتنفيذ وانفتحت طاقة أسفل المنصة وفي لحظة كان «آدم» يتأرجح متدليًا

في الهواء.

نظر الجندي «عبد الغفار» ناحية «آدم» فوجد يده قد فُتحت وسقطتْ منها ورقة أسرع الجندي بالتقاط الورقة بينما كان الآخرون يتعاونون في توسيد الجثة وتخليصها من الحبل في الوقت نفسه الذي كان فيه الطبيب يقيس نبض «آدم» ليؤكد تمام الوفاة حرص الضابط «أيمن» على أن يُقيَّد زمن التنفيذ في الدفتر بكل دقة.

«تم التنفيذ في تمام الساعة الثامنة وعشرين دقيقة وسبعة عشرة ثانية»

وقَّع الطبيب الكشف الطبي، وكتب ساعة الوفاة في التقرير.

«فاضت الروح إلى بارئها في تمام الساعة الثامنة وثلاث وعشرين دقيقة وخمس ثوانٍ»

تم تجهيز المأمورية المكلفة بإنهاء إجراءات الدفن وحرص الضابط «أيمن» على أن يكون من ضمن أفراد المأمورية الجندي «عبد الغفار».

وقف الجميع يترقبون إنهاء إجراءات الدفن بينما هناك شعاع من

الشمس يسقط فوق رأس الجندي «عبد الغفار» الذي كان حريصًا على متابعة الإجراءات، ابتعد «عبد الغفار» عن مكان شعاع الشمس وأدخل يده في جيبه ليبحث عن منديل يجفف به عرقه المتفصد على جبهته فاصطدمت يده بورقة في جيبه أخرج الورقة وقرأ بها :

« اكتبوا على شاهد قبري، ها هنا يرقد نبيٌّ، ربما أتَي في زمنٍ غيرِ زمانِهِ، لكنَّه كان شبيهًا بزمانه»

نظر الجندي «عبد الغفار» ناحية الجثة فوجد أن اللحاد قد واراها التراب، وأخذ الواقفون ينصرفون، كلٌّ إلى طريقه نظر إلى الورقة المطوية بيده فوجد يده تطبق على منديله الأبيض الذي تحرص زوجته على أن تضعه في جيبه، نظر إلى شعاع الشمس الذي ضايقه منذ قليل فوجد السماء ملبدةً بسحب كثيفة تنذر بقرب هطول المطر.

أسرع «عبد الغفار» بركوب السيارة التي أخذت تثير الغبار الكثيف خلفها مبتعدةً عن طريق المقابر، نظر «عبد الغفار» خلفه فوجد المقابر تبتعد، وتبتعد وتختفي خلف صفوف البناياتِ والسياراتِ وحركةِ السائرين وأطفالِ المدارسِ التي يَعُجُّ بها الطريقُ.

للاطلاع على أحدث إصدارات مؤسسة إبداع

يرجى زيارة الموقع الإلكتروني

www.prints.ibda3-tp.com

obeikan.com